قالوا عن محاكاة الفطحل:

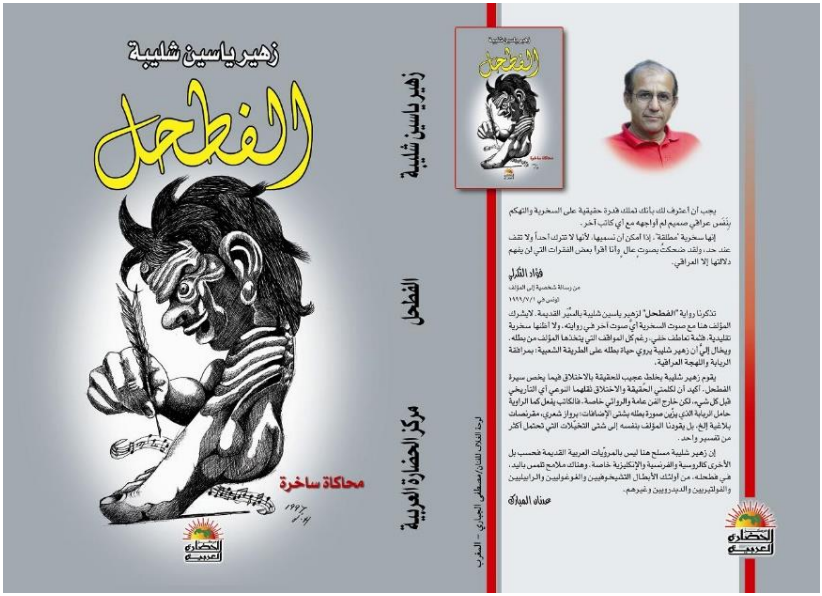

خبر عن إصدار الفطحل للدكتور زهير ياسين شلبيه

صـــدر عن مركز الحضـــارة العربية في القاهرة كتاب "الفطحل" محاكاة ساخرة ونصوص مفتوحة للدكتور زهير ياسين شلبيه.

والدكتور زهير ياســين شــلبيه باحثٌ أكاديمي في الرواية العراقية ومترجم يقيم في الدنمرك وسبق له وأن أصدر عدة كتب مثل كتابه عن الروائي العراقي الراحل **غائب طعمه فرمان** ومجموعته القصـــصـــية "كوابيس المنفى" وترجم أول وأكبر انطولوجيا الشـــعر الـدنمركي الحديث، إضافة إلى كتابه عن ميخائيل باختين.

سردية "الفطحل" الساخرة تقع بين الرواية والمحاكاة، تدور أحداثها في أوســاط العراقيين المقيمين في الخارج منذ الســبعينات حتى احتلال العراق من قبل الأمريكان.

وقد كتب الروائي العراقي الراحل **فؤاد التكرلي** عنها " يجب أن أعترف لك بأنك تملك قدرة حقيقية على الســخرية والتهكّم بِنَفَس عراقي صميم لم أواجهه مع أي كاتب آخر.

إنها ســخرية "مطلقة"، إذا أمكن أن نسـميها، لأنها لا تترك أحداً ولا تقف عند حد، ولقد ضـحكتُ بصـوتٍ عالٍ وأنا أقرأ بعض الفقرات التي لن يفهم دلالتها إلا العراقي".

وقال عنها الكاتب والروائي العراقي المعروف **عدنان المبارك**

" يقوم زهير شلبية بخلطٍ عجيب للحقيقة بالاختلاق فيما يخص سيرة الفطحل. أكيد أن لكلمتي الحقيقة والاختلاق ثقلهما النوعي أي التأريخي قبل كل شيء، لكن خارج الفن عامة والروائي خاصة. فالكاتب يفعل كما الراوية حامل الربابة الذي يزيّن صـورة بطله بشـتى الإضـافات: برواز شــعري، مقرنصـــات بلاغية إلخ، بل يقودنا المؤلف بنفســه إلى شــتى التخيّلات التي تحتمل أكثر من تفسير واحد.

إن زهير ياسين شليبة مسلح هنا ليس بالمروّيات العربية القديمة فحسب بل الأخرى كالروسية والفرنسية والإنكليزية خاصة. وهناك ملامح تلمس باليد، في فطحله، من أولئك الأبطال التشيخوفيين والغوغوليين والرابيليين والفولتيريين والديدرويين وغيرهم. ولا أجدني مبالغاً إذا قلت بأني عثرت على لمحة هنا وهناك في الفطحل مستعارة من رجال إليوت الجوف".

وقال عنه الروائي المغربي **إسماعيل غزالي**:
"فمن جهة يبدو زهير شليبة كساخر كبير (سخرية قائمة على المزج الحاذق بين علم الاجتماع وعلم النفس)، يرصد العالم من زاوية حادة مندلعا بالقهقهات التي تفخخ متن الكتاب من أوله حتى آخره. ومن جهة ثانية يتمرأى ناقدا للشعر وهو يتوجه بخطاب انتقادي مضمر وجسور، معريا زيف الحداثة وانحطاط الذائقة.
وعبر الجهتين معا ينجح زهير شليبة في روايته بصنع كوميديا الهوائيين، موجها حزمة ضوئه الكاشف إلى منطقة البهلوانيين في مسرح اليومي، وفاضحا بكل أصالة جسورة وبسالة مرحة للصخب الأجوف الذي يعكر به الفطاحلة مزاج العصر".

وقال **الأستاذ الجامعي الدكتور عمر ظاهر** عن الفطحل " اهنئك على هذا العمل الذي اعتبره وثائقيا، بمعنى أنه يوثق للهجة شعب في مرحلة من تاريخه. واتمنى عليك ثانيا أن تجمع التعابير الشعبية التي اوردتها، وهي جامعه وشامله ...".

وقالت **الشاعرة رُلى اللحام** كلما أقرأ للدكتور زهير ياسين شليبه يلفت انتباهي مابين السطور حيث هناك شيء يجذبني ويدعوني للتفكير بتأنٍ لمعرفة اسرار المفردات وتلميحاته. وفي كل مرة أقرأ مقطعا أفاجئ بمفردات معينة تجعلني ابتسم او اضحك واشعر بالتعلق بقراءة القصة والرغبة في انهائها. لغة هزلية وجدية في الوقت نفسه تأخذ القارئ الى

اعماق الواقع. العامية العراقيه تصـــبح مفهومة رغم الصـــعوبة بعض المرات، وفي احيان اخرى اقارنها بمرادفاتها باللهجة الفلســـطينية او الشامية عموما.

وقال **الأستاذ جمال جودة** "هناك الكثير من الأعمال الأدبية التي تتناول شخصية تبدو فردية بمعنى أنها لا تشكل ظاهرة عامة لكنها بعد إمعان النظر فيها تبدو "عامة" أيضا مثل "الأبله" و"المقامر" لدوستويفسكي و"دون كيشوتي" لسيرفانتيس الخ. لاحظ هنا استعمال الصفات بدلا من الأسماء المحددة الفردية أو أسماء العلم في العناوين أعلاه كما هو الحال في "الفطحل"، ويبدو أن اختيار المؤلف لمفهوم "المحاكاة parody" كتصنيف أدبي لكتابه مصدره مثل هذا الاعتبار".

وقال عن الفطحل أحد أهم قراء الدكتور زهير ياسين شليبه **الأستاذ المهندس شيركو أحمد** سامي المفتي " لقد عرّى فطحلك بعض الأفراد من قشورهم وأظهرهم على حقيقتهم بطريقة ساخرة رابطا بخيط رفيع بين قفشات وتخيلات الفطحل وزهوه وتلك اللمحات الإنسانية في داخله وما حوله. هذه الرواية كتبت لإنسان مثقف واسع المخيلة واعتقد سيأتي يوم تؤخذ بالدراســـة والنقد وســـتحتل مكانها اللائق في الأدب العراقي المغترب".

د. زهير ياسين شلبيه

مقدمة كتاب محاكاة الفطحل

لا أميل إلى كتابة مقدمات النتاجات الإبداعية ولا قراءتها، فأنا لا أبالي لمثل هذه الأمور ولا أضع أهدافاً أمام القارئ بل أتركه حرّاً في التفكير، مبدعاً في القراءة، متفاعلاً معها ومع سخرية هذه المحاكاة من خلال اللعب بالكلمات وما بين السطور. ولكني مع ذلك أشعر بضرورة توضيح بعض الجوانب الفنية بالذات لكتاب الفطحل.

هذه النصوص هجين من المحاكاة والسرد فهي ليست قصصاً ولا روايةً تقليدية فلا يوجد هنا التزام حَرفي بالأبعاد الثلاثة، بل حكايات اجتماعية ساخرة.

تقترب هذه المحاكاة "بارودي Parody" من بعض أنواع الكتابات الاجتماعية الانتقادية الفاضحة والصحفية الساخرة مثل "فِليتون" مع شيء من الاختلاف. إنها بلا شك عمل سردي طويل بمواصفات غير تقليدية.

وأنا عموماً لا يهمني التصنيف الأكاديمي لهذا الكتاب محاكاة أم رواية أم مجموعة قصص بقدر ما يشغلني رأي القارئ.

صورتُ المجتمعَ العراقي وظواهره الاجتماعية السلبية من خلال أبطال القصص وشخصية الفطحل السطحية المسالمة والآخرين الذين لا هَمَّ لهم غير تهميشه والسخرية منه.

هذا هو موضوع هذه القصص.

محاكاة الفطحل ليست وثائقية مكرّسة لشخص معين حقيقي كما هو المفروض في هذا النوع الأدبي، إذ إن معظم ما فيها من نسج الخيال ومن تجربتي الشخصية والواقع ومما سمعتُ وقرأتُ والتقيتُ وأُلهمتُ. أما قصائد الفطحل فما هي إلا محاكاة ساخرة لبعض ما يُنشر في الصحافة العربية.

هذه المحاكاة الساخرة مكرسة لشخصية نموذج لأولئك الذين يرسمون لأنفسهم أدواراً دونكيشوتية كبيرة فيبدون بهلوانيين، وللطريقة القاسية، العراقية بامتياز في التعامل معه بحيث صارت وبمرور الزمن تتردد بين أوساط المثقفين مصطلحات مثل: بهلوان، طرطور، عبقري، فطحل، طفيلي، مهووس، وإلخ عن أولئك الذين يحبّون الظهور والوصول بأي ثمن وبدون جهود ومعاناة ومثابرة حقيقية.

لا بد من الإشارة إلى أنَّ أغلب أبطال هذه المحاكاة والقصص الأخرى من العراقيين والعرب المقيمين في الخارج ولهذا فإنهم لا يتحدثون بلهجة عراقية خالصة بل خليطة إلى حدٍ ما.

كذلك فإني تقصدت أن أمسكَ العصا من وسطها من خلال تقريب المحكيّة العراقية إلى اللغة العربية المكتوبة كي تكون مفهومة لكل قراء العربية، فاستخدمت يحكي بدلاً من يحجي وقال بدلاً من كَال وهيك أو هيكي بدلاً من هيج أو هيجي ولعدم توفر حرف الجيم الفارسي المستخدم في اللهجة العراقية أصلاً في مفاتيح حروف الكومبيوتر.

أسجّلُ هنا اعتذاري لمحبي اللهجة العراقية.

سبق لي وأن نشرت هذا الكتاب بشكلٍ محدود وعلى مواقع الإنترنت وهأنذا أعيد نشره.

زهير ياسين شليبة

2008 الدَنمَرك

عدنان المبارك

قراءة في رواية زهير ياسين شليبة "الفطحل"

رصد ساخر لنموذج بشري دائم

تذكرنا رواية "الفطحل" لزهير ياسين شليبة بالسِيَر القديمة. لا يشرك المؤلف هنا مع صوت السخرية أيَّ صوت آخر في روايته. ولا أظنها سخرية تقليدية، فثمة تعاطف خفي، رغم كل المواقف التي يتخذها المؤلف من بطله. ويخال إليَّ أن زهير شليبة يروي حياة بطله على الطريقة الشعبية: بمرافقة الربابة واللهجة العراقية.

قَسّمَ الراوي مرويته إلى فصول لا تجمعها أيٌّ من أدوات الرواية التقليدية لكن ظاهرياً فحسب. فثمة خيط متين، رغم دقته، يمسك بكل ما حدث لهذا البطل. ولا أظن أنه، أي الكاتب، قد عنوَن عن طريق المصادفة، فصولَ الرواية وأعطاها مثل هذا التسلسل الذي يذكرنا بأبرز الأعمال الأدبية المكرسة لمثل هذا النموذج البشري. فالفصول اعتمدت، بشكلٍ بيّن، على تقنية الفلاش باك.

يقوم زهير شليبة بخلطٍ عجيب للحقيقة بالاختلاق فيما يخص سيرة الفطحل. أكيد أن لكلمتي الحقيقة والاختلاق ثقلهما النوعي أي التأريخي قبل كل شيء، لكن خارج الفن عامة والروائي خاصة. فالكاتب يفعل كما الراوية حامل الربابة الذي يزّين صورة بطله بشتى الإضافات: برواز شعري، مقرنصات بلاغية إلخ، بل يقودنا المؤلف بنفسه إلى شتى التخيّلات التي تحتمل أكثر من تفسير واحد.

إن زهير شليبة مسلح هنا ليس بالمروّيات العربية القديمة فحسب بل الأخرى كالروسية والفرنسية والإنكليزية خاصة. وهناك ملامح تلمس باليد، في فطحله، من أولئك الأبطال التشيخوفيين والغوغوليين والرابيليين والفولتيريين والديدرويين وغيرهم. ولا أجدني مبالغاً إذا قلت بأني عثرت على لمحة هنا وهناك في الفطحل مستعارة من رجال

الجوف لإليوت. وعليَّ أن أستدرك هنا: نحن لا نعثر، بالطبع، لدى فطحل زهير شليبة على ذات النسغ الفلسفي الإليوتي. ف "فطحله" مثال تقليدي لشتى الأنوات التي يعرفها كل مجتمع يعاني من صعود وهبوط مفاجئين، أي محرومين من الإيقاع والوتيرة، في بارومتر الحضارة المادية.

وقبل كل شيء يكون الفطحل عينة مخيفة لنبتة خرجت من أرض يصعب تحديد موقعها، فهي في تنقل شبه أبدي بين قحولةٍ ومشروع نماءٍ. وفي الحقيقة لا يمثل بطل زهير شليبة أيَّ فئة اجتماعية محددة. فالمؤلف تعمد تعليقه في فراغات عدة وليس في فراغ واحد.

أعودُ إلى رجال إليوت الذي جعل منهم نموذجاً شمولياً لإنسان هذا العصر الذي روّضت مشاعره وتلافيف مخه أقانيم هذه الحضارة المادية. فإليوت الذي صار كاثوليكيّاً وتقبّلَ الكثيرَ من دوغماها، وجد أن القدح المعلى في حضارتنا ل"الفطاحلة" الذين هم ليسوا بحاجة إلى إيمان وأيّ كان. وكما قلت في "الفطحل" يحشر نفسه وبحركات بالغة الطبيعية بين رجال إليوت خاصةً أنه مثلهم لا يعرف الابتسام:

نحن الرجال الجوف
نحن الرجال المحشوين
يتّكئ أحدنا على الآخر
الرؤوس حُشيت بالقش، واحسرتاه!
أصواتنا التي جُفّت
حين نهمس لبعضنا بعضاً،
هادئة و بلا معنى
كالريح على غصنٍ يابِس
أو قائمة جرذي على هشيم زجاج

فـي قبونا الجاف. (الأبيات من ترجمتي).

بالطبع لا يمكن إطالة "فطحل" زهير شليبة ولا تضخيمه كي يصبح رمزاً يتخطى حـدودَ محليتـه، أي على العكس من رجـال إليوت (الشـــاملين). وقد تبدو المقارنة بين الفطحل ورجال إليوت قســـرية أو مفتعلةً لكن حجتي هنا تشابك جذور كل الظواهر فـــي عصرنا بشكلٍ خاص (ربما كان الكاتب قد قرأ إليوت) ومن ثم عثر رجاله الجوف على حيّزٍ ما فـــــي لا وعيه). ومرة قرأتُ كتاباً عن إليوت بَحَثَ مؤلفه عن منحدر عنوان قصيدة إليوت الشهيرة هذه. وظاهريّاً يبدو هذا موضوعاً آخر لكن ليس تماماً. فلقد جرى البحث عن أصـــل "الرجال الجوف" وتبين أن من المحتمل أن يكون للعنوان ثلاثة أصول: مقال وليم موريس W. Morris بالعنوان نفسـه، وقصـيدة لروديارد كيبلينغ R. Kipling بعنوان The Broken Men

أو من "يوليوس قيصر" لشكسبير الذي استخدم النعت نفسه فـــي مسرحيته هذه. وفـــي الحقيقة توائم الأوصـاف الشكسـبيرية الأخرى الإليوتية. فشكسبير يقول:

الرجال الجوف

هم مثل الخيل الناري فـي الظاهر:

مظهر رائع

يعلن عن النار.

لكن أعطها مهمازاً،

سترى كيف

يسقط هذا الحيوان

مثل حصانٍ عجوز. (هذه ترجمتي أيضاً).

لا أظن أن تأثيرات مباشرة فـــي تكوين شخصية الفطحل جاءت من

الأدب الروسي لكن من الصعب أن نطرد هنا بعض الروائح التشيخوفية والغوغولية خاصـةً. المهم أنها لم تترك بصـماتها اللحوحة على أصـالة "الفطحل". لكن هل بقي هناك كلام عن التأثيرات؟

أكيد أنها مسالة مفتوحة. إذ لا شيء أصيل تماماً فـــي الأدب والخلق الفني عامةً بل فـي كل خلق.

فـي الختام لا بد من التنبيه إلى نفور زهير شليبة من الأقنعة ونرفزته مما نسميه فـي العراق ب"الكلام المصفّط". وواضح أنه لا يلجأ هنا إلى أيّ قانون للسرد الأدبي سواءً أكان تقليديّاً أو "محدّثاً".

كما بوسعي القول إن "فطحله" قد مدَّ جذوره فـي أكثر من تربة. ولو كنت ناقداً متفرغاً أو أفخر بمؤهلات نقدية ما، لأخذتُ بالبحث الأكاديمي عن جميع أزمنـة وأمكنـة هـذه الجـذور. لكني مجرد قـارئ تمتع كثيراً بقراءة "الفطحل" الذي ذكرني بعبقرية الأدب الروسي أيضاً.

لقد قام زهير ياسـين شـليبة فـــي "الفطحل" بتدوير عدد من عللنا العراقية، (وفـــي الواقع هي ليست عراقية فقط) ورشَّ خليطاً مدهشاً من توابله عليها!

لقد جاءت "الفطحل" محاولة جريئة لتعرية أكثر من بعد نفســـي بل هي، بـالأحرى، تعريـة لـذوي البعد الواحـد. وأكرر مرة أخرى تهنئتي للصديق المؤلف على هذا العمل المتميز فـي حصيلتنا الأدبية.

عدنان المبارك روائي
وكاتب عراقي، ماجستير
بتاريخ الفن
الدنمرك

15 تشرين الثاني 2005

إسماعيل غزالي

الصّخب الأجوف:
حول رواية الفطحل للكاتب العراقي زهير شليبة .

"أنا كاطالوك ضخم من الشوائب" تقول بطلة مسرحية يوليوس قيصر في حوار فيلم " أنا وأورسن ويلز " للمخرج ريتشاردلينكلايتر، الفيلم المستند إلى رواية بنفس العنوان للكاتب روبرت كابلوا. يمكن تحوير هذه الجملة اللاذعة بصدد رواية الفطحل لزهير شليبة كالتالي: " أنا كاطالوك ضخم من الانسانية الجوفاء".
تلك هي الفكرة الحادة لكتاب الفطحل الذي يعنى بتوثيق سيرة رجل معتوه يراكم رصيدا هائلا من الأوهام الصفيقة اللاتتناسب ومقدرته الفكرية الساذجة والانعدام الكاسح لموهبته المفقودة.
رجل أبله هو نموذج شاسع لظاهرة من الشعراء الرديئين والمثقفين المعوزين معرفيا يضج بهم المشهد الأدبي محليا وكونيّا.

في الظاهر المعلن تبدو القصص الثلاث في كتاب الفطحل: الاستباحة – الكلب والسيدة القتيلة – توزن تاك، امتدادا طبيعيا وموضوعيا لقصص مجموعة كوابيس المنفى عبر تيمة مركزية مشتركة هي (الأحلام)، فتوحي بانفصالها عن المتن السردي الموالي الخاص برواية الفطحل (محاكاة ساخرة).
في المضمر الخفي تستبطن القصص الثلاث موضوعا رئيسا ممهدا لرواية الفطحل فيما يشبه مقدمة سردية تومئ بمسعى الرواية إلى تشخيص التكوين العراقي والقبض على اللحظة الاجتماعية الجوهرية. ثم تستطرد فتنوه بالأشياء الممحوة داخل فعل الكلام أو الأشياء المحتشدة ما وراء السرد كمبرر وظيفي لأسلوب الانقطاعات الحكائية المقصودة والقفزات والفراغات التي يزدهر بها النص ككل.
القصص الثلاث تلمع عبر خطاب إيمائي منذ البداية إلى نموذج الشخصية الفطحلية العراقية (والعربية عموما) المغتربة الموسومة

بالفراغ الفادح، كظاهرة ثقافية سطحية واجتماعية مختلة ونفسية متوترة.
هذه الظاهرة تتمثلها شخصية "الفطحل" في المحاكاة الساخرة التي تلي القصص الثلاث، وهي عبارة عن متوالية سردية ترصد سيرة الشاعر الأجوف الملقب بالفطحل، عبر لوحات متعاقبة وحالات متواترة تتأرجح بين تجربته الكاريكاتورية في شمال أوروبا وذكرياته المؤرقة في العراق.
تكاد شخصية الفطحل هنا تحقق ما يسميه جيل دولوز بالشخصية المفهومية، فهي تذكرنا بشكل من الأشكال بأبله دوستوييفسكي ويمكن أن ترقى لتصير استعارة حول الرجل الأجوف الذي يطمح للوصول بأسرع ما يكون عبر أدوار موهومة لكي يصنع لحظة تاريخية صاعقة دون أن تنز منه في طريق ذلك قطرة عرق واحدة. فالفطحل نموذج عملي للأحلام المتضخمة ذات البصمة الدونكيشوتية التي تستند إلى قاعدة هشة بل منعدمة أساسا.
الهوس بإنجاز الشيء الفني العظيم انطلاقا من الفراغ المعرفي المهول والجهل الفاحش والبلادة الجسورة يغدو عند البعض هاجسا مرضيا وهستيريا فيتحول إلى ظاهرة مع طفوهم كطفيليات في النتاج الثقافي والسياسي والاجتماعي، بل وينجحون عبر وسائط في خلق أسمائهم الأدبية الوضيعة ويزحفون كفطريات على صفحات الجرائد والمجلات وشاشات التلفزيون الخ فيمارسون التمويه ويستوطنون الضوء العام ويؤثثون المشهد زعيقا عبر بهلوانيات لا تنطلي إلا على المجوفين مثلهم.

الفطحل الذي كان مذموما خلقة وخلقا في العراق، سيحاول أن يبحث عن نموذج نقيض لشخصيته في أوروبا وتتحول مذماته إلى محاسن بقدرة قادر في البلاد الشقراء. فككل العراقيين الهاربين من جحيم الدكتاتورية وفوضى البلاد الأم، ينجح في أن يهاجر بذريعة إجراء عملية حول عينه العمياء ويخفي ذلك فيما يصرح بأنه يسافر من أجل الدراسة ببلغاريا ويطلّق السمراء السومرية ويتزوج من بلغارية، ثم

يســـارع إلى ترجمة الشـــعر البلغاري ليلفت الانتباه وهو الذي لا يتكلم البلغارية أصلا، ثم يغادر بلغاريا ويختار له أمّاَ شماليةً الخ
وإذ تطغى الســـخرية اللاذعة لنبرة الســـارد وهو يدون حالات الفطحل المتعاقبة، فلا يعني هذا أن الخطاب يلتزم هنا بهذه النبرة الفاضـــحة التي تعري الشـخصـية بشـكل مبرح يتخلق عنه نوع من الكوميديا السـوداء وروح الدعابـة (البـاروديـا تحـديـدا). ففي ثنـايـا الخطـاب يتوارى حس درامي ينتزع منا لحظة للتعاطف مع هذه الشـخصـية على سـبيل الشـفقة انطلاقا من افصـــاح الســـرد عن الندوب والكدمات والجراح التي تتقعر ذاكرة ووجدان هذه الشخصية ذات النزوع المسالم. الشخصية المعرضة للهزء ذات الخلقة الاجتماعية المشوهة من الداخل.
فبحثا عن تجميل هذا التشـوه الجواني تهافت الفطحل في البلاد الشـمالية من أجل خلق مجد واهم عبر طرق وصـــولية وأســـاليب واهنة لم تكلفه حتى هدر قدر صـــغير جدا من الطاقة أو الجهد. وكان الطموح المتلهف هو تشييد رأسمال معنوي ضخم عبر قناع الشاعر وقناع المترجم وقناع المشرقي الذي يعود إلى البلاد مع زوجة شابة شقراء ... ثم قناع المثقف الموسوعي الذي يفقه في كل شـيء وقناع السياسـي أخيرا (فصـل: عودة الفطحل إلى ربوع الوطن الشامخ) ...
و لا تنجح أي من هذه الأقنعة في تلميع وجهه، فيظل لاهثا وراء تسلقاته الوضـيعة و تلفيقاته المفضـوحة و ادعاءاته المكشـوفة وترهاته الفاقعة الشبيهة بضراط في منام كابوسي إلى أن ينتهي نهاية مأساوية (تضارب الشـهادات حول سـجنه من طرف الأمريكان و اختفائه بقرية في بولونيا بعدما اغتصب من طرف عصابة الخ) .
بعد المتواليات السـردية، يفرد المؤلف ملحقا لأشـعار الفطحل في مختتم الكتاب، بمنزلة ديوان للشـــاعر الفطحلي المدعو غوني الملاخ، وفيها يتقمص المؤلف ظواهر شعرية مما ينشر في الملاحق الثقافية والمجلات وعبرها يواصـل السـخرية اللاذعة من هذه القصـائد الزائفة والسـاذجة ويبدع لها أشـــكالا تدعي العمق الأنطولوجي وخلق الأبعاد الرمزية والفلســفية موقعة في أكثر من مكان جغرافي للكرة الأرضـــية كجزيرة الواق واق بل وحتى الكواكب المجاورة كعطارد الخ.

هكذا يسلك المؤلف في رسم ملامح الشخصية الفطحلية ذات الصدى الروسي البعيد (نيقولاي غوغول) استراتيجية سردية قائمة على المتواليات الحكائية سواء المتعاقبة أو المبعثرة، وينجح في القبض على تلاوين النموذج الانساني الأجوف من زوايا مختلفة عبر لغة تنحاز للمحكي العراقي العامي دون أن تلغي الفصيح الرصين فيما يشبه تعالقا لغويا بحسب تعبير (ميخائيل باختين). فمن جهة يبدو زهير شليبة كساخر كبير (سخرية قائمة على المزج الحاذق بين علم الاجتماع وعلم النفس)، يرصد العالم من زاوية حادة مندلعا بالقهقهات التي تفخخ متن الكتاب من أوله حتى آخره. ومن جهة ثانية يتمرأى ناقدا للشعر وهو يتوجه بخطاب انتقادي مضمر وجسور، معريا زيف الحداثة وانحطاط الذائقة.

وعبر الجهتين معا ينجح زهير شليبة في روايته بصنع كوميديا الهوائيين، موجها حزمة ضوئه الكاشف إلى منطقة البهلوانيين في مسرح اليومي، وفاضحا بكل أصالة جسورة وبسالة مرحة للصخب الأجوف الذي يعكر به الفطاحلة مزاج العصر.

إسماعيل غزالي
روائي مغربي

جمال جودة*

قراءة في رواية "الفطحل" للدكتور زهير ياسين شليبة
تشـــخيص أدبي لأزمة نفســـية عانت منها عدة أجيال بســـبب خلل في النهضة العربية الحديثة.

تدور أحداث هذه الرواية حول شـخصـية الفطحل وادعاءاته ومغامراته وفضـائحه في الوطن وفي المهجر. وهي شخصية بلهاء وصولية تعيش في عالم من الأوهام حول عبقريتها المزعومة، ولهذا أصـــبحت بؤرة النميمة لدى عراقيي الخارج. للفطحل هذا أسماء مستعارة كثيرة تختلف حســـب مزاجه وتقلباته وأفضـــلها كان غوني الملاخ! يترك الفطحل المدرسـة ليتفرغ لشـعره، يهاجر مع زوجته العراقية الى بلغاريا ليطلقها ويتزوج من بلغارية، فيسـارع الى ترجمة بعض القصـائد البلغارية دون اي علم بلغتها الأصـــلية أو تاريخ أدبها، ثم يطلق زوجته الثانية مهاجرا هذه المرة الى شمال أوروبا ليبدأ سلسلة جديدة من الادعاءات والفتوحات الخيالية، وعند بداية الغزو الأمريكي للعراق يحاول الفطحل أن يقحم نفســـه في الحرب بصـــفته "معارض عراقي وكاتب من المنفى، ممثل البرلمان العراقي في الشـمال الأوروبي"، وينتهي به الأمر في مصـير مجهول، إذ تكثر الإشـاعات حوله فمنهم من يقول إنه أُغتُصـبَ وأهين، ومنهم من ادعى أن صـديقته البولندية أنقذته وأنه الآن يعيش في بولندا، الخ. مصير الفطحل مجهول.

ولعله من الطريف والمفيد أن الأديب العراقي المعروف عدنان المبارك نشـر قصـة بعنوان تقلبات الفطحل، هي عبارة عن تشـخيص لما آلت له حياة هذا المدّعي الصـــغير حيث يعمل خادما في إحدى قرى البصـــرة ويتعرض لمختلف أنواع الإساءة! أنظر موقع القصة العراقية.

والفطحل هذا ينشـد الاسـتحسـان والشـفقة من الآخرين، فيدعي مثلا أن أهله هلكوا جميعا في العراق الدكتاتوري، بما في ذلك أمه التي كانت حية ترزق، فاصطنع قصـة من المعاناة والأسى التي قد تناسب صـورة الشـاعر المرهف الإحسـاس الذي عانى الأمرّين والذي يتكلم عن معاناة عميقة، والطامة الكبرى أنه يصـدق كذبته. ورغم هذا كله شـعرت أكثر

من مرة بالأسف تجاه هذا المسكين الأبله "على قد نيته"، كلما سمح لي الراوي بالدخول الى مجالس النميمة، حيث يجتمع عراقيو المهجر وبعض العرب ممن يعيشون على برامج المساعدة الأوروبية، لا ينفكون عن السخرية منه ونهش لحمه حيا، فموضوع "الفطحل" مُسكِّن للآلام يشفي غليل فشلهم وألم غربتهم، والأنكى من هذا كله أن لهؤلاء آراءَهم النقدية والفنية الخاصة بهم! إن ردود فعلهم على سفاهة الفطحل هي الجزء الأكبر من المشكلة! بل يمكن القول إن الناس من حوله هم من يزيدون شأنه، ولا يقلون عنه جهلاً.

من عادتي أن أفكّر في التأثير الكلي نفسيا وفكريا لأي كتاب بعد قراءته مرة أو مرتين، وهذا التفكير بحد ذاته جهد أو عمل نقدي له شرعيته ولا يحتاج لأي تبرير، و"الفطحل" كتاب يستحق التفكير لتأثيره الغريب علي، فكما سبق بيانه اختلطت المشاعر بين الاستهزاء والسخرية من جهة، والشفقة والألم من ناحية أخرى، وبين الإفراط بالضحك والتهكم من شخصية هي في الحقيقة مسكينة لا تضر ولأنتفع، عدا عن أن عنصر التشويق لم يختفِ ولو لحظة!

هناك الكثير من الجوانب المهمة في الكتاب التي استحوذت على انتباهي كدور الأحلام مثلا والتي لا تقتصر أهميتها على الأسلوب السردي من ناحية تقنية، بل يتعداها الى الجانب الرمزي أيضا، إضافة الى علاقة الراوي بالفطحل والشكل الأدبي، هي كذلك جوانب مثيرة للاهتمام في هذه الرواية التي يصر كاتبها أن يصنفها كمحاكاة. ولا يمكنني أن أعطي كل هذه الجوانب حقها في هذا المقال، ولهذا سأركز أولا هنا على المسألة الأكثر إلحاحا بالنسبة لي شخصيا وهي الشكل الأدبي في المقام الأول ومن ثمة شخصية الفطحل نفسه.

- العام والخاص:

هناك في رأيي ازدواجية مهمة في شخصية الفطحل التي نجح الكاتب في بنائها، وتلك هي ثنائية العام والخاص. لقد نجح المؤلف في بناء شخصية مركبة، أو بعبارة أخرى، "عامة" يعرفها الكثير من الناس في المهجر والوطن. أي أن الفطحل هذا يوحي بنزعة يعرفها الكثير من القراء في العالم العربي، فهو يشير ويذكر القارئ بتلك النزعة، فشعوره

بأن الفطحل نوعية أو صـــنف من الناس قد مرَّ عليه ســـابقا يزيد من حيويته على الرغم من فرديته. فكم تذكرت فلاناً وعلاناً من أيام الدراسة في المدرسة الابتدائية والثانوية،
وكم تذكرت أشـــخاصـــا قابلتهم في الجامعة والمهجر بين العرب، حيث يزدحم الفطاحلة من كل مذهب ومشرب، من الفطحل "الإسلامي" الذي لا يتوقف عند تكفير داروين ونظريته دون أن يقرأ ســـطرا واحدا في الكتاب المشؤوم بنفسه فيعمل فكره فيه، إلى "الماركسي" الذي يتحدث عن ماركس وإنجلز صـــباحا مســـاء دون أن يقرأ أي كتاب لهما، وإلى الفطحل الأدبي الذي لم يكتشـــفه أحد، إلى الناقد "العبقري" الذي يشـــتم إمرأ القيس "المنحط" دون أن يقرأ معلقته وهلم جرا!
يمكن القول إن الفطحل في هذه الرواية تشـــخيص أدبي لحالة أو أزمة نفسية وعقلية أصابت أكثر من جيل في العالم العربي، تعود بدايتها إلى خلل أساسي في النهضة العربية الحديثة.
أرفض اختزال النص الأدبي في نية الكاتب، حيث يبرز المعنى من تفاعل القارئ مع النص، ولهذا تختلف القراءات والمعاني. بكلمات أخرى، لا يهمنا هنا فيما إذا كان الفطحل شخصـا "حقيقيا" مستمدا من حياة الكاتب أو العكس. المهم هنا هو الازدواجية بين فردية الفطحل كشخصية أدبية عراقية محددة من جهة، وعموميّته من حيث هو ظاهرة اجتماعية بامتياز. وهنا تكمن في رأيي فاعلية هذه الشـــخصـــية الأدبية، فهي في المقام الأول محددة وفريدة، وليســـت شـــخصـــا "حقيقيا" بدَّل الكاتب اســـمه ب"غوني الملاخ". لكنه أحد أعراض "المرض العربي" المزمن إن صح التعبير، وهو ما سأوضحه لاحقا. أظن إن أغلب القراء العرب ســـيشـــعرون أنهم قابلوا أو مروا على هذه "النوعية" في حياتهم أكثر من مرة. وهنا تكمن الازدواجية أو أوجه الشـــبه بين الشـــخصـــية "العراقية" ذات الاسم والهوية المحددتين من جهة والتشخيصية العامة التي تطال وتصور أكثر من شخص أو "نوعية" في أغلب أنحاء العالم العربي. أشعر أن هذا التشخيص العام هو السبب الرئيس خلف ضحكي المســـتمر، إذ عرفت هذه "النوعية" وتفاعلت كقارئ معها أو الحالة المرضية ومع كيفية تعامل الآخرين معها.

- " عروبة " الفطحل
وتُعد الظاهرة الفطحلية أو "الفطحليزم" كما يحلو للكاتب ان يسميها ساخراً مرضا مزمنا في البلاد العربية. إنها ظاهرة عربية بإمتياز حيث لدينا العديد من المدّعين ممن يريدون أن يكونوا مفكرين وفلاسفة وقادة سياسيين عباقرة باي ثمن. وأود أن أشدد هنا على "عروبة" الفطحل حتى النخاع! يشدد ويؤكد بعض النقاد على "عراقية" النص من حيث اللغة وشخصية الفطحل ذاته، وصحيح أن لغة النص عراقية أحيانا وأن عددا من الأمثال الشعبية أو التشبيهات استعصت علي كقارئ فلسطيني، لكن لابد في رأيي المتواضع من التأكيد على عروبة الفطحل التي أثرت في قراءتي للكتاب رغم عدم "عراقيتي". إن تفاعلي الحي مع النص ومع شخصيته الرئيسة وفهمي لمعضلات الإنسان العراقي فيه رغم الفارق بيني وبينه دليلٌ يؤكد انتشار هذه الظاهرة.

غوني الملاخ "الطايح الحظ"، "ذو العين الكريمة" مصاب بمرض "الفطحلة" هذا في الميدانين السياسي والأدبي، همه الأول والأخير النجومية والشهرة باي ثمن كان، فهو إذ لم يتمكن من تحقيق هذا كله كأديب فذ، انقلب الى السياسة منتهزا فرصة الاجتياح الأمريكي للعراق. ولا أعرف بالتحديد أسباب انتشار هذه الظاهرة في العالم العربي، لكن يبدو لي من حيث المبدأ أنها نتيجة تشابه الظروف فيه.
يبدو لي أن جذور "الفطحلة" أو الوصولية السياسية تعود الى الاختراق الغربي للعالم العربي خصوصا عقب انهيار الإتحاد السوفيتي التي تمثلت بسلسلة أحداث متشابهة مثل الاجتياح الأمريكي للعراق، اتفاقية أوسلو وسياسة الانفتاح في مصر، فكثرت المشاريع الديموقراطية السطحية التي تمولها الدول المانحة، وتفجر عدد "الخبراء" الذين صاروا يجيدون اللغة السياسية "المربحة" التي أضحت تجارة.
- الشكل الأدبي
هناك الكثير من الأعمال الأدبية التي تتناول شخصية تبدو فردية بمعنى أنها لا تشكل ظاهرة عامة لكنها بعد إمعان النظر فيها تبدو "عامة" أيضا مثل "الأبله" و"المقامر" لدوستويفسكي و"دون كيشوتي"

لسيرفانتيس الخ. لاحظ هنا استعمال الصفات بدلا من الأسماء المحددة الفردية أو أسماء العلم في العناوين أعلاه كما هو الحال في "الفطحل"، ويبدو أن اختيار المؤلف لمفهوم "المحاكاة parody" كتصنيف أدبي لكتابه مصدره مثل هذا الاعتبار.

لا أرى من حيث المبدأ أي تعارض بين الرواية كصنف أدبي والمحاكاة عموما، سواء أكانت ساخرة أو جدية، لسببين رئيسين. يجدر بنا هنا أن نتذكر، أولا وقبل كل شيء، أن المحاكاة الساخرة ليست شكلا أو صنفا أدبيا بحد ذاتها. لا بدّ هنا أولا أن نوضح المفاهيم كما أستعملها هنا. يمكن ترجمة كلمة "محاكاة" بالمعنى الاصطلاحي الأدبي الى "mimesis" أو "parody" بالإنجليزية، وهي كلمات من أصل إغريقي. المعنى الأول هو مفهوم عام فلسفي وأدبي يدور حول أهمية "التقليد" أو "المحاكاة" في عملية التربية والنضوج في المجتمع وفي الفنون والأدب. ليس هذا المفهوم المقصود في موضوعنا الحالي، بل هو المعنى الثاني، أي "parody"، وهي أسلوب أدبي وفني ذو معنى محدود على العكس من الأول، حيث يقلد الكاتب، الشاعر أو الفنان عملا معينا إما بغرض نقده، أو نقض الذوق الأدبي في العصر الذي ينتمي اليه العمل المعني.
أما السبب الثاني لرأيي أعلاه في انعدام التعارض بين الرواية والمحاكاة، فهو أن الرواية كشكل أدبي وبالمعنى الحديث كلها مبني أصلا وتاريخيا على المحاكاة، وبالذات المحاكاة الساخرة. يحاكي سيرفانتيس مثلا في رائعته "دون كيشوته" التي نشرت لأول مرة في العام 1605 تراثا أدبيا طويلا طغى على أوروبا في العصور الوسطى يدعى بالأدب الفروسي "chivalric romance" والتي تناولت بطولات أسطورية لفرسان كثر خصوصا "مغامرات أماديس الغاليْ" إضافة الى "إنجازات إيسبلانديان" وغيرهما من الأبطال الحقيقيين والوهميين على السواء، فإما كانوا جزءا من الحملات الصليبية أو فرسانا تصدوا أو قاوموا جيوش المسلمين في إسبانيا.

فكان الأدب الفروسي الديني هذا طاغيا تسلطت على كل محاولة إبداعية تجديدية، وانكسرت شوكتها بصدور "دون كيشوته"، ومع أن الراوي يسخر بطريقة لاذعة مؤلمة من بطله، إلا أن القارئ قد يبكي على موت دون كيشوته في نهاية الكتاب. لكن وعلى الرغم من هذا كله فلا تعتبر جمهرة النقاد هذا العمل محاكاة، بل على العكس من هذا تماما، إذ ترى الأغلبية أن "دون كيشوته" أول رواية في العالم بالمعنى الحديث للكلمة. لا أرى للأسباب أعلاه خاصية تميز المحاكاة عن الرواية. إن ما يميز رواية "الفطحل" هو كونها مبنية على أجزاء متقطعة إن صح التعبير، فالسرد فيها يبدو لأول وهلة وكأنه مكون من شظايا fragments، أي تبدو لأول وهلة وكأنها تفتقد إلى حبكة وبنية سردية narrativeبالمعنى التقليدي للكلمة، من حيث إن تسلسل الأحداث لا يتبع في هذه الرواية "ثم كذا ثم كذا"، من بداية واضحة لحبكة محددة تُتَوَّج في ذروة تنحل عقدتها في النهاية، لكن هناك عوامل جامعة من حيث الشكل، فإضافة الى وحدة الموضوع ووحدة الشخصية المتمثلة في الفطحل، وهي بديهية في رأيي، إلا أن هناك عوامل شكلية أهم، ف"الفطحل" عمل نثري ذو امتداد زمني واضح منذ العام 1990 إلى 2006 تحديدا. هناك أيضا صوت الراوي، وهو العمل الأساسي في وحدة السرد والشكل.

يتابعنا صوت الراوي في رواية "الفطحل" من البداية الى النهاية، وقد يتناسى القارئ هنا دوره بسبب شخصية الفطحل. لكن لابد في رأيي من مناقشة دور هذا الراوي المشاكس الذي يعرف تماما أن القارئ تحت رحمته! ليس سهلا أن نحدد علاقة هذا الراوي بالأشخاص الأخرين في الرواية لاسيما الفطحل ذاته، لكن أظن أن الراوي هنا كان زميله منذ أيام الدراسة وأنه رافقه في الغربة حتى اختفائه.

وراوي "الفطحل" هنا بالمناسبة مشاكس محترف، لأنه يحجب عن القارئ مصير البطل الفطحل، فهو لاريب يعلم بعاقبته ويتلذذ في تخمينات الجهلة من أصحاب النميمة. كيف لا يعرف بمصير الفطحل وهو يعلم سريرة كل أشخاصه بل حتى أحلام الفطحل وكوابيسه في

الليل؟ هذا الراوي الذي ينصـــح الفطحل بالزواج والعمل، متعاطفاً معه رغم علمه بتفاهته، ما علاقته بالفطحل؟
لا شك في أن الراوي يتعاطف مع الفطحل الأبله، على الأرجح شفقةً.
ناهيك عن أن الراوي يغير أســلوبه الســردي ووجهة النظر بين عدة شـخصـيات، بما في ذلك الفطحل نفسـه. يسـتهل الراوي سـرده بضـمير الغائب "هو" في الفصـــلين الأول والثاني، فيحدثنا هنا عن كل كبيرة وصـغيرة من أحلام الفطحل وكوابيسـه، ثم ينقلب فجأة في الباب الثالث إلى ضـمير المخاطب "أنت" وكأنه يتكلم مباشـرة إلى الفطحل والقارء بشكل غير مباشر، ثم يعود الى ضمير الغائب في الفصول اللاحقة.
كذلك تتبدل وجهة النظر، فتارة نرى الأحداث بعيني الراوي، وأخرى بعيون الآخرين، لكن الراوي هو نفســه الراوي لايتبدل. الراوي هنا لا يكتفي بالمراقبة من بعيد، أو يتظاهر بذلك كي لا يبدو مباشـــرا وتقليديا ولكي يجمع بين السـرد والدراما مطلا برأسـه بين فترة واخرى، فيحس القـارئ بوجوده عـدة مرات. يـذكرني الراوي هنـا بنظيره في روايـة العـجوز والبـحر Moby Dick للكـاتـب الأمـريكـي Herman Melville.
فالراوي يطل فجأة من المحيط السردي ليعلق على الأحداث مثل الحوت في الرواية، والحوت هنا ليس شـخصـية فردية بل هي نمطية ورمزية الى حد بعيد.
ولا يمكنني في هذا المقال أن أعطي مسألة الشكل الأدبي في هذه الرواية حقها من النقاش، وأضيف الى هذا الكثير من الجوانب المهمة في الكتاب الجديرة بالانتباه كدور الأحلام وعلاقة الراوي بأشخاصه.
لقد نجح الكاتب في بلورة شـخصـية مدّعية ووصـولية "عربية" بامتياز بعيون نقدية ولغة لاذعة، سنحت لي أن أرى بعض الأفراد والإشكاليات بعيون مختلفة، شـخصـية عامة وفردية في آن معا، أضـحكتني من "شر البلية" لساعات طوال ممتعة ومؤلمة!

• **جمال جودة، ماجستير في الألسنيات من جامعة كوبنهاجن، استاذ اللغتين الدنمركيه والإنجليزية في كوبنهاجن**

محمد السنباطي

الفطحل: محاكاة ساخرة، كتاب جديد للدكتور زهير ياسين شليبه، إصدار مركز الحضارة العربية في القاهره

عن مركز الحضارة العربية بالقاهرة صدر كتاب الفطحل للدكتور زهير ياسين شليبة في مئتين وأربعين صفحة من القطع المتوسط. والكتاب، كما وصفه صاحبه، محاكاة ساخرة ونصوص سردية مفتوحة. ويطالعك الغلاف الخارجي الأول بلوحة كاريكاتورية ساخرة للفنان المغربي مصطفى جباري، وفي صفحة تالية إهداء اللوحة بخط الفنان الذي كتب: "أرجو أن تكون اللوحة مناسبة لشخصية الفطحل."

تأتي بعد ذلك صفحات بقلم الأستاذ عدنان المبارك عنوانها: قراءة في رواية زهير ياسين شليبة "الفطحل"، رصد ساخر لنموذج بشري دائم. ويعلن المبارك أن رواية الفطحل " تذكرنا بالسير القديمة. لا يشرك المؤلف هنا مع صوت السخرية أي صوت آخر في روايته ."

لقد أكد المبارك تأكيداً جازماً على أن هذا العمل الأدبي رواية وإن كان المؤلف غير مهتم بـ"التصنيف الأدبي لهذا الكتاب محاكاة أم رواية أم مجموعة قصص"، ويقول مؤلف الكتاب: صورت المجتمع العراقي وظواهره الاجتماعية السلبية من خلال أبطال القصص وشخصية الفطحل السطحية المسالمة والآخرين الذين لا هم لهم غير تهميشه والسخرية منه. هذا هو موضوع هذه القصص". المؤلف هنا يعتبرها قصصا كما تلاحظ. ليس هذا أهم ما في المقدمة التي كتبها المؤلف عام 2008 وهو في الدنمرك، ولكن: " هذه المحاكاة الساخرة مكرسة لشخصية نموذج لأولئك الذين يرسمون لأنفسهم أدوارا دونكيشوتية كبيرة فيبدون بهلوانيين، وللطريقة القاسية، العراقية بامتياز في التعامل معه."

ندلف بعد ذلك إلى عنوان: الاستباحة.

تحت هذ العنوان نبدأ في التعرف على تلك الشخصية، "كان قلقا تلك الليلة. سمع كما هائلا من الأخبار الزفت كما يقولون". "أدار رأسه إلى حيث الجدار والظلام". "مرت في خياله صورة تلك الفتاة العراقية الشابة التي عبثت فيها الأيادي القاسية". "قابعة تحت الغول". "إنها صورة الذل والهوان والعدوانية والاستباحة."

ثم ينتقل بنا إلى فتاة أخرى كانت تلهو. "لم تدم اللعبة طويلا حتى اكتشفها زوجها". "طلق هذا الرجل العصبي شريكة حياته على الفور"، لكن الحقيقة تبدت له، فلم يكن ذلك حقيقيا! يقول الكاتب صراحة: "إذن كان كل ذلك حلماً"، وسنرى لاحقا أحلاما أخرى تختلط بالواقع وسيطالعنا الكاتب كل مرة منبها أن تلك كانت أضغاث أحلام. وبطل القصة أو بطل الحلم يصر كل مرة أن يسترجع كل صغيرة وكبيرة في الحلم أو في الرؤيا كما يسميها المؤلف. هناك قتل وتنكيل، ثم هناك العراق المضرج بالمآسي: "هل هناك في هذا العالم الشقي أكثر أهمية من المخلوقة العراقية وصوتها الرهيف الحزين؟"

حتى السلة القديمة قال عنها: "سلتك عمرها آلاف السنين العراقية"! أرأيتم؟ حتى سنين العراق لها أطوالها المختلفة.

حتى اللوحة المرسومة فيها ما فيها من القسوة والمواجع: "كانت هناك لوحة بانورامية قوية معبرة، فيها أجساد بشرية نحيفة ترتدي ملابس ممزقة ووجوه ناحلة ناتئة العظام بينهم فتاة في مقتبل العمر لم يعد هناك شيء من ملابسها المتهرئة يستر جسدها، كانت نظرات الشرطة مصوبة نحو صدرها العاري، تتعرض للضرب بسياط خيالة يقفون حول هذه الكومة البشرية العراقية."

أتابع وأنا واثق أن الكاتب سيقول إن ذلك كان حلما، ولعلك لو راجعته في هذا لقال لك: " يا إلهي، حتى الحلم ممنوع علينا، حتى الحلم لم يخلص منا نحن العراقيين!". العراق مرة أخرى: "نحن شعب عريق

مولع بالصفعات، حكمته المرفوعة ليلا نهارا: اضرب أخاك ظالما أو مظلوما. أو اصفع، اصفع حتى يرهبك الآخرون". وبعد أن قرأت: "هذه هي دورة العنف العراقي مصممة بدقة منذ آلاف السنين".... بعدها بسطور فاجأني الكاتب وكنت قد نسيت: "أفاق من نومه.!"

النوم والحلم لهما ما لهما في هذا الكتاب حتى إن الفطحل في قصيدته عندما يدعو حورية البحر يدعوها هكذا: "فتعالي

يا حورية البحر

إلى منامي!

ننتقل من تلك الاستباحات إلى "الكلب والسيدة القتيلة". وكما كان الكاتب ينبهك في القصة الأولى إلى أن ذلك كان حلما فهو هنا ينبهنا إلى شيء آخر: "لكن سرعان ما ابتلعه عالم الذكريات". وفيها نطالع المقارنة بين حالتين متناقضتين مختلفتين كل الاختلاف: "كانت الأوروبية تنظر ساهمة إلى الأفق مبتسمة، بينما كانت أصابعها تعبث بشعره الأسود سارحة بذاكرتها إلى عوالم الفيلة والقردة والأسود وزئيرهم واللون الأسود والقوة والدفء والحياة. لم يكن الولهان يدرك ما في خلد هذه الجميلة وإلهامها وحبها لبلاده المشوقة الغريبة، التي لم ينم فيها يوما وهو مرتاح البال. أي تناقض هذا؟ بلادي وإن جارت علي عزيزة. أخبر يوسف زوجته الخياطة السلاّطة الزلاّطة الطبّاخة النفّاخة بقصة هذه الأوروبية الرومانتيكية، ردت عليه ببرود خيالي: ُرح لها، يجوز تسمع أشعارك.". لا نكاد نخرج من ذلك الجو حتى ندخل في عالم الجريمة: "امرأة رائعة الجمال والبهاء، في متوسط العمر، وكلب كبير مثل كلاب الشرطة مقتولان بالرصاص والدماء تسيل منهما. لكننا وقد مضينا في تقصي خيوط الجريمة نصحو على الجملة العتيدة: "إذن كان ذلك مجرد حلم."

والعجيب أن الدكتور شليبة يأخذنا ليس إلى الحلم فقط وإنما إلى الحلم داخل الحلم: "واستسلم يوسف للرقاد بعد سيل الذكريات التي شرحت صدره. في النوم حلم أنه نائم ويحلم، وأنه ذهب في الرؤيا إلى البريد ليرسل طردا بريديا مليئا بغداء المعلبات إلى الرجل المقولب بونامارييف.".

وابتداء من (توزن تاك) ينهمر الحكي عن الفطحل، الفطحل الوحيد في نظر نفسه. ""هناك فطاحلة مثلك أيضا ويجب أن تعطيهم حقهم"، لكنه لا يفعل.

ها هو ومن معه تائهين في مدينة غربية بعيدة، يتصدى هو للمارة ويسألهم عن المكان الذي يقصدونه، صار يؤنبه زميله: "ولم يبق شارع إلا دخلناه، ولا زقاق صغير إلا وسلكناه، لم تبق امرأة إلا وسألتَها، ومع ذلك لم نعثر على المكان. الناس يقولون لك إن المكان المنشود قريب من هنا. وأنت تصر على إلقاء القصائد عليّ بخطابيّتك المعهودة". ثم ينهال عليه سخرية: " مقطوع من كل العالم، تعيش على هامشه ولا يشغلك غير أمسيتك وإلقاء الشعر. والله حقك! فهل هناك شيء في الحياة أجمل من تحقيق الذات. أنت جميل. أنا والله سعيد بك. أنت فرحي الدائم والمفروض مني أن أكرس وقتي لك". وفي العنوان التالي نقف علي مطلع قصيدة للفطحل: اسألوا عنا في كل مكان نحن جهابذة هذا الزمان

وينقلب عليه صديقه: "لو كنت فطحلا حقيقيا لعرفت ذلك، ولكن ألم أقل لك دائما وأبدا بأنك ماركة مزورة!

ولقد تغير الفطحل ولم يعد كما كان..... صار يتطلع في المرآة ليرى نفسه في النيو لوك فإذا هو: "شاب طويل القامة فاحم الشعر، أسمر البشرة بمعطف مطري طويل ونظارة شمسية، كانوا في العراق

الصعب يسمونك (ساخرين منه): كعيبِر، كعيبري! لكنك الآن والحق يقال شاب وسيم في نظر هؤلاء الأوروبيين لا محالة."

فما الذي تغير في حياة الفطحل؟

نقرأ: "لكن هناك أمورا كثيرة تغيرت في حياة الفطحل فقد تعلم تنفس الهواء الطلق ونسيم الحرية في البلدان الجميلة، وصار له مسكن خاص به له حرمته لا يدخله الغرباء بدون دعوة منه لهم، ولا يزوره إنسان أينما كان بدون اتفاق أو دعوة مسبقة. وله عنوان ثابت وصندوق بريد خاص به. لم يعد أحد يسخر من شكله أو شعره الفاحم أو سمار بشرته أو كبر أنفه وغلاظة شفتيه بل صار هذا ملاذا لشفاه الأوروبيات الجميلات، وما كان يعد قبحا صار مبعثا للإلهام والخيال والجاذبية بالنسبة للفتيات المهووسات، بينما صارت البلاهة والشرود وعدم التركيز واللباقة سببا للتعاطف والمودة والمحبة ورمزا للمسالمة.

تغيرت ملامح شكل الفطحل نحو الأجمل والأفضل إلا عينه الكريمة بقيت كما هي عليه مختفية خلف النظارة المعتمة وخصلة من خصلات شعره."

وها هو في بلاد الشمال يتوق لاستلام الرسائل، يطلب ذلك من ساعي البريد ويحفزه ليتأكد من خلو جعبته من رسائل له. وتأكد له عدم وجود رسائل باسمه فإذا به.... "ينظر إلى الأشجار العالية والغيوم، كادت تسقط من عينه دمعة". حتى الاتصالات الهاتفية لا يوجد. دب اليأس في صدره فقال لصديقه: "إذا أهلك اتصلوا بك مرة ثانية وسألوك عني فقل لهم آني فعلا مت بكردستان."

والفطحل مولع بشيئين: المكتب الفيزيت كارد، فأما بطاقة الزيارة فمكتوب فيها اسمه ولقبه وعنوانه ورقم هاتفه" وتنزوي هناك بخجل كلمتان: كاتب/إعلامي. يتفحصها الفطحل بإعجاب صباح مساء، كان

بوده أن يكتب عليها كلمة شاعر". وأما المكتب فلابد منه لأنه الجاه والسمعة.

ويسخر الكاتب: "الناس في هذه البلاد أساتذة في الشكوى من الفقر والقحط والضرائب والمساعدات الاجتماعية بينما يبحث هو العاطل عن العمل عن مكتب يتفاخر به وسط المهمشين والمهشمين المنبوذين."

ليس فقط يتوق إلى البطاقة والمكتب وإنما يتوق أيضا إلى أم بديلة. "كانت والدته القصيرة البطينة، واقفة ترتدي ثوبا مهلهلا تنظر إليه بتوسل وتقول له بسخرية ضاحكة مغطية أسنانها بكف يدها اليمنى: عاشق ومفلس."!

وها هو يتذكر قولها هذا ويتملكه الأسى ويتذمر: "المفلس لا يحق له حتى العشق، أي ظلم هذا؟ معلوم! الفلوس تجيب العروس والمعطف المطري والنظارات السوداء."

ها هو صار يلبس النظارة الشمسية رغم الجو الغائم المضبب. فأما أمه فألقاها عن ذاكرته إلى حين مفكرا في أم بديلة، وأما زوجته التي كانت تسهر الليالي تستنسخ له أشعاره فطلقها!!: "لازم أغير العالم!!"

ونراه في شقته يسخن أرزا ومرقا كانا عنده من يوم أمس، وبعد أن أكل لبس دشداشته ونام منهكا. "في النوم رأى حلما سيفرح به كثيرا عندما يستيقظ وسيحكيه لمعارفه وأصدقائه رغم ندرتهم أو انتفائهم:."

أمه في الشارع في عباءتها السوداء الطويلة. طلبوا منه التوجه إلى العراق. اتصل بها ليخبرها "أنه سيأتي محملا بالهدايا والدولارات وما عليها وأخواته إلا انتظاره في البيت وأن تدعو الجميع."

ها هم أهله في استقباله كبطل عائد. خروف يذبح أمام عتبة الدار. العيون الصغيرة والكبيرة ترمقه وترمق الهدايا المرتقبة. المشكلة أنه رغم تغيير اسمه إلا أن الاسم القديم يلاحقه الآن.

أخذ يوزع الهدايا لكن أحد الأطفال طلب منه هاتف جوال لجدته، وآخر طلب نفس الشيء لأمه وخالاته. أخته الصغرى تشكو من "تعبها مع ابنها المريض، وتمنت عليه أن يساعدها في المستقبل، أما أخته فشكت له سمعها الثقيل، أما أخواه اللذان يكبرانه فظهرا له وكأنهما في سباق نحو القبر.

كان أخوه الثاني يبدو أكبر من عمره بكثير؛ بسبب الرصاصة التي أصابته في شبابه ومرضه؛ إذن فهو ما يزال حيا يرزق ولم يمت منذ أكثر من عقدين من الزمان...

تساءل الجميع لماذا لم يدرس الفطحل الطب هناك...

"سألته أخته الصغرى بإلحاح وعفوية: عيني عيونك إشكد حلوة، كأنما حاطط عدسات. لكزتها أختها الكبرى كي تصمت، بينما حاولت الكبرى الطرشاء أن تسأله عن سمّاعة أذن ."

وطبعا بعد هذا لن ينسى الكاتب أن يذكرنا أن الفطحل كان نائما: "هسه قعدت من النوم وحلمت كأني مسافر للعراق..."

وفي قناة فضائية يشاهد الفطحل مشدوها حوارا سياسيا لا يعجبه فيقوم بمداخلة ثم يلتفت إلى جليسه ويسأله: "بالمناسبة أريد أسألك كان اسمي واضح على شاشة التلفزيون(...) كتبوا اسمي بوضوح؟ كتبوا موقفي الشخصي؟ كتبوا اسمي المنسق العام؟"

ويعرض المؤلف علينا حيرة الفطحل مع زوجته البولونية، وزوجته الأخرى، هو الذي "يعاني من سلب الذات منذ طفولته"، وكان قد طلق امرأته العراقية، وصار يرزح تحت أنقاض اختياراته، البولونية فارغة، ثلاثينية تصغره بعقدين. "عسى ولعلها فعلا حامل مني مو من شخص آخر غيري، يا رب تكون حبلى مني".

ويتذكر امرأته الأولى العراقية التي كثيرا ما طلبت منه أن يعرض نفسه على طبيب لأنه عاقر! هل يقدر أن يسأل البولونية إن كان فعلا أبا للجنين. "راح تثور وتزعل وتقول إني عربي متخلف."

وها هو حلم آخر يجيء ويسقط الفطحل من مكان شاهق لكنه يفتح "عينيه مبتسما: عايش! اطمئن آني عايش، آني بزونة (قطه) أم سبع أرواح."

وها هي البولونية تهاتفه: "ألا زلت نائما أيها الأمير؟ إلى متى تبقى على هذا الحال؟ أَفِقْ لنفسك أيها الطفيلي؟ أُخرُجْ يا فارغ واِبحثْ لك عن عمل يفيدك، ستصبح أبًا عما قريب، هل تفهم؟ حاول أن تفهم قليلاً ولو أنا يائسة منك يا أبلة لأنك طول عمرك هائم ونائم كأنك محنّط."

وينتفض عليها "ها ها، ها؟ ماذا تقولين؟ أي شغل هذا؟ أنا سياسي! أي شغل؟ أنا شاعر! أي شغل هذا؟ أنا معارض للنظام! أنا ضد صدام! هذا شغلي! أنا شاعر! أنا كاتب."!

وتدور رحى الحرب وتلتهب المظاهرات المناوئة لها "صار الفطحل كثيرَ الحضور في المحطات الفضائية، وأصبح يرتدي البدلات الأنيقة للغاية وأربطة العنق المورَّدة، المزركشة، ذات الألوان المتنوعة كالأحمر والأرجواني، غالباً ما كان يظهر حليق الذقن مصفف الشعر سبله ويبدو مزيتاً، أصبح وجهه أكبر أو أسمَن وبدت وجنتاه متوردتين رغم سمار بشرته، وأن العز بدأ واضحاً على ملامح وجهه، قَدَّمَهُ المذيعُ باسم آخر غير الذي اعتادوا عليه سابقاً حيث أصبح اسمه وثّاب عنبر الناطق الرسمي باسم حزب البرلمان العراقي، تحدث في البداية قليلاً عن حياته وقال إن والده اسماه وثّابا تيمنًا بوثبة كانون الثاني، وكانَ مقدّم البرنامج الرجل الكبير في السن ذو الخبرة الإعلامية الواسعة يبدو عليه أنه لا يثق بهذه الادعاءات، ينظر إليه بريبة من طرف عينيه، قاطعه مبتسماً:

- ولكن يا دكتور وثّاب هناك من يقول إن هذا ليس اسمك الحقيقي، يُقال إن اسمك الأصلي: طايع أو طايح، بل إنه عبدالجبار وهو الاسم الذي استخدمته مؤخراً قبل السقوط."

بعد هذا "الموجز" الذي أتمنى ألا يكون قد سلب هذا العمل حيويته واندفاعه، والذي أرجو به أن أكون قد قدمت للقارئ فكرة عامة وافية، فإنني أرى أن الأمر يتطلب ذكر بعض الملاحظات:

1- نبدأ بالإهداء، "إلى زوجتي فريدة"، فنستشعر الحميمية المطلقة، والوطن المثالي الذي اصطحبه الكاتب معه إلى بلاد الغربة. لكأنه يهدي الكتاب إلى العراق! العراق الفريد!

لذلك أصر على ذكر اسم الزوجة، وهل هناك متفرد كالعراق، ونخل العراق، وسماء العراق!

2 - ومازلنا في الإهداء الذي يوجهه الكاتب إلى أبطال قصصه... وليس هناك ما هو أجمل ولا أرقى ولا أنقى من قول هذه الكلمة: "معكم أسخر لا منكم."

3- ومن الذين يوجه لهم إهداءه، الشعراء على اختلاف أنواعهم، فمنهم من يستحق التكريم، ومنهم من يستحق الصفع كما قال شاعر.
- نخرج من الإهداء لنقرأ باستمتاع ونجد أن الكاتب يمزج بين الخاص والعام؛ فكما صور الفطحلَ صور معه المجتمع العراقي في أدنى صوره السلبية.
4- تركيز الكاتب على استخدام الحلم وإن كان ينبه القارئ دائما قبل الدخول في مملكة النوم وإلا فبعد مغادرتها، ويصر على هذا الوضوح ولعل معه أسبابه.

5- لا شك أن الكاتب قصد أيضا تعرية المجتمع العراقي وفضح الشخصية الوصولية

وتعاونها مع الاحتلال، وعندما وصف ظهور الفطحل في الفضائيات

فقد كان يعني مجموعة من العراقيين لفظتهم المنافي فعادوا ينتهزون أية فرصة للشهرة

فوقعوا في فخ نصبوه لأنفسهم. هؤلاء فقاعات ليس لهم في نظره أي دور في العراق .

كذلك الجو العربي العام من خلال استخدام اللهجات المصرية والسورية وغيرها لكي يؤكد على أننا: كلنا في الفخ شرق!!

6 - وأخيراً فيجب التنويه على أن مؤلف الفطحل كاتب له أسلوبه المتميز الذي يعبر بصدق عن شخصيته وانتماءاته. يكتب القصة كأنما يكتب سيرة ذاتية لمؤلف. إن أبطال قصصه يتماهون معه في اغترابه وتشوفه إلى وطنه: "يا ترى هل ستبقى رائحة جريد النخل وسعفه بعيدة المنال؟"

أقول إن مؤلف الفطحل له أسلوبه الساخر المحبب حيث خفة الظل، واللمحات الذكية، كل ذلك لا يخفى على أحد .

محمد السنباطي

روائي وناقد ومترجم مصري

الدكتور عمر ظاهر عن "الفطحل"

الدكتور زهير ياسين شليبه! اهنئك أوّلًا على هذا العمل الذي اعتبره وثائقيا، بمعنى أنه يوثق للهجة شعب في مرحلة من تاريخه.

واتمنى عليك ثانيا أن تجمع التعابير الشعبية التي اوردتها، وهي جامعه وشاملة، فيما قد يمك أن يكون مسرداً أو معجماً لمعاني هذه العبارات بالعربية الفصحى. الزمن يغيّر ثقافتنا بسرعة والكثير من هذه العبارات في طريقها الى الاختفاء.

في هذه النصوص الجميلة يتجول المؤلف، الأستاذ زهير شليبه بين اللغات التي يعرفها ويقطف من مفرداتها ليصف الفطحل، ويجوب في أرجاء الجغرافيا ويُدخلها في الذاكرة ويخرجها من فم الفطحل، ويركب على بساط الفطحل الذي يمر على مختلف فئات الناس ويقتبس من أقوالهم ما يفقه وما لا يفقه، ويدور في البيت الواحد وينظر الى الأشياء بعين الفطحل ثم يخترق الزمن من عهد الجد إلى اليوم الحاضر ويسخر من ذلك الفطحل. ويقوم بالرحلة نفسها في الأدب بشعره ونثره، وفي التاريخ والفلسفة والحياة اليومية.

في هذه الديباجات يجمع المؤلف شتات اللغة ومفردات الثقافة المحليّة، العراقية والعالمية التي خبرها وعاش في لجّتها، في ملحمة ساخرةٍ، تكشف عن خبرة حياة وتعبّر عن موقف يطالب بواقعية هادئةٍ.إنه يسخر من أولئك الذين لا يملكون إلا أن يزعموا ويدّعوا، ثم إذا بهم كفقاعة لا تلبث أن تنفجر، ويكون حتى انفجارها باهتاً.

إنه كاتب يسخر دون أن يجرح، ويجذب إليه القارئ بلطف لمساته الساخرة، بل ويشركه في السخرية حين يتعرف على هذه التعابير الساخرة، بخاصة إذا كان عراقيّاً، فالنكهة العراقية واضحة في الديباجات رغم نزوعها إلى الطابع الكوني الشامل.

ثم إنه لا يُستبعد أن يشعر القارئ نفسه بأنه مشمول بالنقد، والمؤلف يقول في مقدمته بصراحة الندامى "إلى أبطال قصصي الذين أحبّهم كثيراً!! معهم أسخر لا منهم".

إنه يسخر معنا.. لا منّا نحن القرّاء!

دكتور عمر ظاهر، أستاذ جامعي مقيم في الدنمرك

د. لمياء ياسين حمزة
د. شازاد كريم عثمان

السُّخْريَّة في رواية "الفَطْحَل" للكاتب زهير ياسين شليبه

"الملخص"

يتناول هذا البحث موضوع السُّخْريَّةِ في السَّرديات، وتحديداً في رواية "الفَطْحَل" لـ(زهير ياسين شليبه)، إذ يكرّسها الروائي لمعالجة قضايا سياسية واجتماعية معتمداً على عدة أساليب، مثل "المحاكاة الساخرة"، التي تتميز بالتهكّم المبطّن والفكاهة في تناول المواضيع الحساسة والمعقدة لتجعلها أكثر قبولاً وسهولةَ الفهمِ على القارئ.

إنّ المؤلف لم يكتب على غلاف نصه هذا "رواية" كالعادة، **برأينا** ليس لأنه لم يقتنع بانتمائه إلى نوع الرواية، بل بالعكس لأنه أراد إضافة سمة السخرية عليه، التي تتميز بها "المحاكاة الساخرة" والتركيز عليها، فهذا المصطلح ليس استعاضةً أو بديلاً عن الرواية! وكما نرى، فإن مقدّمَ هذا النص الكاتب الراحل عدنان المبارك (1935-2017) أصرّ على تسميته "رواية" حيث يصوّر مؤلّفُها المجتمعَ العراقي وظواهره الاجتماعيّة، وواقعَ الفرد العراقي في الغربة من خلال شخصيّة "الفطحل" والذين يسخرون منه- الذين لجأوا إلى خارج البلاد لأسباب سياسية وغيرها.

ولهذا السبب اخترتُ الكتابة عن رواية "الفطحل"، لحداثة الثيمة وأصالتها وجدّيتها وأهميتها، ولأني أول من يكتبُ عنها ويثيرها بمنهجيةٍ أكاديميةٍ. وتناول البحث مفهوم السُّخْريَّة، وأهميتها ودوافعها، وأهم المرجعيات الثقافية التي وظفها الروائي، ووضّحَ السُّخْريَّة من خلال عدة جوانب مثل الشخصيات الكاريكاتورية، والسُّخْريَّة الحزينة والسوداء اللاذعة، والأحداث الكوميدية، واللغة والتعليقات الساخرة، ثم النقد الاجتماعي والسياسي طوراً بالمزاح والهزل والتهكم، وتارةً بالشوق إلى الوطن الأصلي والأهل حيث يستخدم كلمات شعبية مستمدة من اللهجة العراقية مثل "مسودَن، كلاوتشي، صرم باره"، وأحياناً أخرى نادرة "بالازدراء" حيث ينتقد بعض الناس المولعين بإهانة إنسانٍ آخر بمفرداتٍ غير لائقة

مثل "أعور" بدلاً من "كريم العين"، وطبعاً، ينأى الكاتب بنفسه عنها كما سنبين ذلك لاحقاً في بحثنا الحالي.

وأتبعتُ المنهج الوصفي التحليلي الذي كان له دور مهم في شرح ظاهرة الفَطْحَل ووصفها وصفاً دقيقاً عبر ربط الأحداث الواقعيَّة بالخياليَّة.

وفي الخاتمة ثبتتْ النتائج التي توصل إليها البحث، والتي تؤكد أنَّ "الفَطْحَل" ظاهرة عالميَّة موجودة عند المجتمعات الغربيَّة والشرقيَّة.

الكلمات المفتاحيَّة:

السُّخْريَّة، السُّخْريَّة في السَّرديات، رواية الفَطْحَل، أنواع السُّخْريَّةِ، المرجعيات الثقافيَّة، التأثيرات الأجنبيَّة.

Satire in the Novel "Al-Fatḥal" by Zuhair Yassin Shlaibah

"Abstract"

This research explores the theme of **satire** in narratives, specifically in the novel *Al-Fatḥal* by Zuhair Yassin Shleibah. The author employs satire to address political and social issues using various techniques, such as **"parody,"** which features implicit sarcasm and humor to make sensitive and complex topics more accessible and easier for readers to comprehend.

The author did not label his work as a **"novel"** on the cover, as is customary. In our view, this was not because he doubted its classification as a novel, but rather because he wanted to emphasize the satirical nature of the work, which is characteristic of **parody.** This designation is not a replacement or substitute for the novel itself! As we see, the late writer Adnan Al-

Mubarak, who wrote the preface to this work, insisted on calling it a **novel.** The author portrays Iraqi society, its social phenomena, and the reality of Iraqis in exile through the character of *Al-Fatḥal* and those who mock him—individuals who fled the country for political or other reasons.

For this reason, I chose to write about *Al-Fatḥal*, given the novelty, originality, seriousness, and significance of its theme. I am proud to say that I am the first to academically explore and analyze it. This study examines the **concept of satire, its importance, motivations, and the cultural references employed by the novelist.** It highlights different aspects of satire, including **caricatured characters, sharp satire, comedic events, satirical language, witty remarks, and social and political critique through satire.** I adopted a **descriptive-analytical approach,** which played a crucial role in explaining and accurately depicting the phenomenon of *Al-Fatḥal*, connecting real events with fictional elements.

In conclusion, the study confirms that *Al-Fatḥal* represents a **universal phenomenon** present in both **Western and Eastern societies.**

Keywords:
Satire, satire in narratives, *Al-Fatḥal* novel, types of satire, cultural references, foreign influences.

المقدمة:

إنَّ السُّخْريَّة وسيلة تعبيرية، تتميز بصيغتها وأسلوبها النقدي اللاذع، وتخفي دلالات مضمرة، بلغة خاصة وبسيطة ساخرة. لذا يحاول الكاتب من خلالها نقد الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة، فهي "طريقة فنيّة أدبيّة ذكيّة لبقة في الإبانة عن آراء ومواقف ذات رؤية خاصة وبصيغة فنية متميزة وهي أسلوب نقدي هادف في التعبير عن أفعال معينة كعدم الرضا في تناقضات الحياة"[1].
كما إن السُّخْريَّة نوعٌ من الهزء قوامُه الإمتاع والتسلية وتُعد من أرقى أنواع الكوميديا والفكاهة، فهي "الهزء بشيء ما، لا ينسجم من القناعة العقلية، ولا يستقيم مع المفاهيم المنتظمة في عرف الفرد أو الجماعة، ففي كلِّ انقطاع عن المألوف شيء ما يثير الضحك"[2]، وهي تشارك في إسباغ المعنى الواقعي على الكلمات من خلال التناقضات اللفظية وهذا يرجع إلى عبقرية الكاتب من خلال التلاعب بالكلمات والإيحاءات، أي يكون معناها خفياً، تخفي المعنى الحقيقي بعكس الهجاء الذي يكون مباشراً، في إبراز عيوب المهجو. فالسُّخْريَّة كالإمتاع وهدفها في معظم الأحيان إصلاح المجتمع، وإنها تختلف عن الهجاء من خلال بواعثها والوظيفة والغرض.

وتكمن أهمية السُّخْريَّة في الأدب لأنها وسيلةُ تعبيرٍ حادة عن الانتقادات والمعاناة أو الإساءة بشكل ساخر، حيث تحمل غالباً في طياتها مغزىً سياسياً أو اجتماعياً أو ثقافياً لإبراز الفساد أو الخلل أو الظلم بطريقة هزلية مضحكة. وتكون السخرية عادة للتسلية والاستمتاع، مع إنها تساعد الكاتب لإيصال فكرته بسهولة إلى المتلقي.

---

[1] السخرية في الأدب الجزائري الحديث، محمد ناصر بوحجام، مطبعة عربية، د.ط، 2004: 32.

[2] السخرية في مسرح أنطون غندور، سوزان عكاري، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 1994: 24.

وللسُّخْريَّة دوافع عديدة، منها المساهمة في رفع الروح المعنوية والثقة بالنفس بالاستعلاء على الخوف، وهي كأسلوب فني تنفع في إزالة الضيق والهمّ من قلوب الناس، وردِّ خطرٍ قائمٍ على المجتمع، أو خطر متوقع عليه، فهو عامل إنساني شريف لا يعبر بذلك عن رأي صاحبه فحسب، بل رأي الناس والمجتمع. والسُّخْريَّة وسيلة للانتقام فبواسطتها يستطيع الكاتب مواجهة تلك الإهانات التي يتعرض لها، حيث تترجم الحاجة الروحية للمجتمع[3].

ومن خلال حواراتي مع الكاتب د. زهير ياسين شليبه*، أجابني على بعض الاستفسارات وطريقته في الكتابة، فقد ذكر لي مثلاً بأنه كان منذ

---

[3] ينظر: أدب السخرية بخلاء الجاحظ ومولييرر دراسة مقارنة، فاطمة زروقي وخالدية سعدي، رسالة ماجستير في الأدب الحديث، جامعة ابن خلدون تيارت، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2019–2020: 25–26.

* ولد الدكتور زهير ياسين شليبه لأب معلّم في مدينة ميسان وانتقلت عائلته بعد خمسة أعوام إلى بغداد عام 1954، استاذ جامعي متقاعد، يعيش في الغربة منذ عام 1974 يكتب بأسلوبه الساخر، وهو واحد من الكتاب العرب القلائل في الغربة الذي يتناول القضايا السياسية والاجتماعية بشكل مبتكر ومتميز. درس زهير شليبه الآداب والصحافة وعلم النفس وأساليب العمل الاجتماعي، واشتغل بالتعليم الجامعي والبحث العلمي والترجمة من الروسية والدنمركية إلى العربية. وله مجموعة من المؤلفات الأكاديمية والإبداعية وفي الترجمات منها: (غائب طعمة فرمان دراسة نقدية مقارنة عن الرواية العراقية 1996) و(ميخائيل باختين ودراسات أخرى عن الرواية 2000) و(كوابيس المنفى. مجموعة قصصية قصيرة 2003) و(الفطحل. محاكاة وقصص ساخرة 2005) و(مختارات من الشعر الدنمركي 2000) و أنطلوجيا الشعر الدنمركي الحديث 2005) و(في الأدب العربي الحديث. دراسات وحوارات في التنويرية العربية والاستشراق الروسي. 2025) و(جودليا. سردية عابرة للأجناس 2025)

نعومة أظفاره يفكر بالخروج عن المألوف واستخدام السخرية، ولا يحب "اجترار" الأسلوب السردي التقليدي والحبكات الاستهلاكية و"المنفلوطيات"، بل يسخر منه ويتهكم، خصوصاً عندما يكتب بعض الكتّاب والشعراء بطريقة متكررة وصيغ رتيبةٍ خاليةٍ من الإحساس العميق والشغف والحماس والرغبة في التجديد والحداثة وعمق المضمون والحكمة والشعور بضرورة العمل بأشكالٍ جديدةٍ والبحث دوماً عنها. ومن هذا المنطلق اختارَ الكاتب زهير شلبيه أسلوب سرديته غير الاعتيادية حتى بعنوانها: "الفطحل"[4] ، وصمّمَ بنفسه في البداية غلافها عندما نشرها لأول مرة قبل الاحتلال الأمريكي ببعض السنين في موقع القصة العراقية، التي كان يشرف عليها بنفسه مع الكاتب العراقي الراحل عدنان المبارك (1935- 2016)، مواكباً كلّ تفصيلات عمله في الإصدار الثاني بما فيه ألوان الغلاف، ولوحته التي رسمها أو استوحاها له التشكيلي المغربي مصطفى جباري من نص "الفطحل" بعد أن اطّلعَ عليه وأهداها له[5].

المرجعيات الثقافية:

إنَّ زهير شلبيه من الروائيين المعاصرين، ممن ارتبطت نتاجاته بالمرجعيات الثّقافيّة التي تحمل في ذاكرته الثقافية الفنون القصصية المتنوعة بوعي وقصدية، والمرجعيات الثقافية التي ساهمت في تكوين شخصيته الثقافية الواسعة والعميقة كثيرة، منها: القراءات الأولى التي لها أثر واضح على ثقافته ومعرفته، وكما يقول إنه فتح عينيه على مكتبة صغيرة لوالده، الذي ينتمي إلى جيل المعلمين العراقيين الأوائل، لكنها كانت متنوعة وغنية بـ"قصص أطفال" و"قصص من القرآن"،

---

[4] الفطحل، زهير ياسين شليبه، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2008.

[5] أجريت مقابلة شخصية مع الكاتب والروائي الدكتور زهير ياسين شليبه عبر المواقع الاجتماعية بتاريخ 30-1-2025، 25-2-2025 وهي (غير منشورة وقد أذن الروائي بنشرها).(الباحث).

و"النظرات" و"العبرات"، والروايات الغربية، منها مثلاً الأولى التي قرأها رواية فرنسية مترجمة "بائعة الخبز" لمؤلفها كزافيه دي مونتابين، طويلة جداً ورائعة! أثرت فيه تأثيراً كبيراً من حيث الموضوع والأسلوب. وروايات نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله و"النخلة والجيران" لغائب طعمة فرمان، وكذلك قرأ كتب سلامه موسى الأولى المشهورة بما فيها عن "نظرية داروين". وحدثني أيضاً قائلاً " في السبعينات بدأتُ بقراءة ما توفّر من كتب وقصصٍ عراقية متداولة لمحمد خضير وأحمد خلف وعبد الرحمن الربيعي وآخرين...كما كنا نقرأ كتباً متنوعة إضافةً إلى الأدبية، مثل لورنس العرب وبرتوكولات بني صهيون وعن العراق مثل ملحمة جلجامش، أتذكر قرأتُ كتاباً كبيراً عن اليزيدية، وقرأتُ "أرواح ميتة" و"المفتش العام" لغوغول، وبعض كتب سارتر مثل الغثيان ودروب الحرية والذباب و"دكتور جيفاكو" لباسترناك التي اعجبتني جداً ورواية "الغريب" لألبير كاميو و ومن الكتب الروسية "الأم" لغوركي، "الحرب والسلام" لتولستوي وأغلب كتب دوستوييفسكي المتوفرة آنئذ رغم صعوبتها مثل "الأخوة كارامازوف" و"الجريمة والعقاب" ورواية "مذلون مهانون" التي أحببتها جداً وأسهل عليّ من التي سبقتها حيث كنتُ صغيراً بعد تخرجي من السادس الابتدائي وسنوات المتوسطة، وبعدها تطورت القراءات وتنوعت، وصرنا كشباب متحمس للغاية وبشكل مبكر من أعمارنا قبل بلوغ سن الرشد الرسمي نبحث عن الكتب ليس في شارع المتنبي فحسب، بل في مكتبة التحرير الكائنة في شارع السعدون لدرجة الهوس وحتى الخطر، واستمرت هذه الحالة حتى تخرجي من الإعدادية ودخولي في الجامعة المستنصرية...وإلخ"[6]، من هنا نرى أنه منذ بداية حياته كان أكثر ميلاً إلى الآداب الأجنبية. فأنا بوصفي باحثاً أنظر نظرةً شاملة إلى الأديب زهير شليبه بوصفه إنساناً اضطرّ إلى ترك بلده ولم يكن طريق الغربة سهلاً بالنسبة له وللمثقفين العراقيين الآخرين، كما يتصور بعض الناس الذين بقوا في الداخل رغم قساوة وضعهم.

---

[6] حواراتي مع الكاتب زهير شليبه. (الباحث).

السُّخْريَّة في السرديات:

وقد وجدتِ السُّخْريَّةُ في الثقافات الشرقيّة والغربيّة منذ القدم، حيث وردتْ كلمة السُّخْريَّة (4) مرات في القرآن الكريم بمعنى التنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، قد يكون بالمحاكاة في الفعل والقول أو بالإشارة والإيماء والحركة. كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾(المؤمنون: 110)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾(الحجرات:11).

ويعد "الجاحظ" (780- 868) م مؤسس السُّخْريَّة السّرديَّة، في "رسالة التربيع والتدوير" من خلالها ينتقد الظواهر الاجتماعيَّة المنتشرة في عصره عن طريق هذا الفن الأدبي، وفي سخريته هذه لم يعتمد على العاطفة ولا على الشتم والسب.

وقد وُظِّفتِ السُّخْريَّة في الفنون الأدبية على اختلاف أنواعها، منها السّرديات، وخصوصاً الرّواية التي تحمل أساليب تعبيرية متعددة. يعبر الروائي عن القضايا السياسية والاجتماعية والانتقادات للمجتمع في الماضي والحاضر والتنبؤات في المستقبل، وهو الذي "يقوم بدور المؤرّخ والعالم النفسي، والمحلل الاجتماعي في آن واحد"[7]، ويحاول نقل الأفكار المقصودة من خلال النص للوصول إلى قلب المتلقي عبر السُّخْريَّة والموقف المفارق في المسائل التي لا يستطيع أن يجهر بها صراحةً. وهذه العملية ليست سهلةً، لأن الأدب السّاخر يحتاج إلى تمرير أفكار ومقولات قد لا يستطيع مقاربتها بشكل مباشر كي يتجاوز مفاعيل الرقابة بمعانيها المستترة، ويعتمد على التناقض بين مقاصد الكلام. لأن السُّخْريَّة هي "طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصد بالفعل، كقولك للبخيل ما أكرمك. ويقال هي التعبير عن تحسر الشخص

---

[7] الرواية والحرب، أحمد أبو مطر، المؤسسة العربية للنشر، ط2، بيروت، 1994: 129.

على نفسه، كقولك البائس: ما أسعدني"[8]. وهذا ما سعى إلى تحقيقه زهير ياسين شليبه ليس في روايته "الفطحل" فحسب، بل في أغلب أعماله السردية القصيرة والطويلة، مثل مجموعته القصصية " كوابيس المنفى" المليئة بعناصر الهزل والمرح والسخرية الحزينة والسوداء رغبةً منه في التخلص من الظواهر الاجتماعية المتخلفة الموجودة في المجتمع العراقي. والأمر ذاته يُقال عن سرديته الأخيرة "جودليا" التي يبدو من عنوانها أنها غير تقليدية بمحتواها وأسلوبها. وروايته الأخيرة (التقليدية) من حيث الأسلوب التي ستصدر قريباً.

وفي الأدب العالمي كتب الكثير بهذا الأسلوب نقداً للمجتمع والسياسة، ولإضفاء نوع من التهكم، أو لزيادة التوتر الدرامي، أو لتسليط الضوء على التناقضات في شخصية، أو موقف معين أو لإثارة التفكير والتأمل لدى القارىء، كجوناثان سويف في "رحلات جاليفر"، وجورج أورويل في "مزرعة الحيوانات"، ومارك توين في "مغامرات هيكليري فين"، وفولتير في " كانديد"، وموليير في "طرطوف"، وتشيخوف في "بلا أب"، وغوغول في "المفتش العام".

وهي أعمال قرأها واطّلع عليها أغلب المثقفين من الشباب العراقيين في السبعينات من جيل زهير ياسين شليبه حيث تم توقيع معاهدة 11 آذار وتحسنت العلاقات بين العراق والاتحاد السوفييتي وانتشرت الكتب الروسية المترجمة الى العربية وحصلت بداية "انفراج" سياسي طفيف بين الشيوعيين وحزب البعث وبدأت فرقة المسرح الفني الحديث بعرض مسرحياتها.

و"هناك الكثير من الأعمال الأدبية التي تتناول شخصية تبدو فردية بمعنى أنها لا تشكل ظاهرة عامة لكنها بعد إمعان النظر فيها تبدو "عامة" أيضا مثل "الأبله" و"المقامر" لدوستويفسكي و"دون كيشوتي" لسيرفانتيس...

---

[8] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس،2007: 112.

إلخ. يُلاحظ هنا استعمال الصفات بدلا من الأسماء المحددة الفردية أو أسماء العلم في العناوين أعلاه كما هو الحال في "الفطحل"، ويبدو أن اختيار المؤلف لمفهوم "المحاكاة "parody بوصفه تصنيفا أدبياً لكتابه مصدره مثل هذا الاعتبار"[9]. وقد أخبرني د. زهير ياسين شليبه أن هذا النوع الأدبي كان منتشراً للغاية في النشاطات الثقافية بما فيها الإعلام في الاتحاد السوفييتي الذي درس فيه منذ منتصف السبعينات حتى منتصف الثمانينات. وكانت له مواصفات خاصة مثل التوثيق، كأن يحاكي بهزل شاعرٌ معيّن زميلَه الآخر إيجاباً أو سلباً وليس بالضرورة بالسخرية اللاذعة او الناقدة والهجاء بل بالمعارضات او المقاربات أو القرائض الشعرية حسب الحوادث_وعلاقات الشعراء، علماً أن مصطلح محاكاة يعني أصلاً "التقليد" الساخر أيضاً لكن يمكن ان يكون بطريقة وديّةٍ وبدون إساءةٍ.

ولهذا سعى زهير وحرصَ على أن يسمّي عمله "محاكاة ساخرة" لئلا يُساء فهمه وأن تكون محاكاته أقرب إلى الواقع وأن تكون شخصية الفطحل بالذات أكثر واقعية وأقرب إلى الحقيقة، لكن بدون أن يسمّيه باسم حقيقي واحد ومعين. وقد خمّن، أو جزم أكثر من قارئ، بأن "الفطحل" ممكن يكون الشاعر الفلاني أو الفلاني وطرحوا عليه أسماء بعض الكتّاب الحقيقيين. وهناك من اقترح عليه كتابة سلسلة كتب بهذا العنوان مثل "الفطحل 1 والفطحل 2 والفطحل 3 وهكذا.

إن هذا النمط من الشخصيات الفطحلية التي تستهدف نموذجاً من الجيل المثقف، وتتمثل في المحاكاة الساخرة سيرة "الشاعر الأجوف" الملقب بـ"الفطحل"، تذكرنا ببعض النصوص العالمية الساخرة، ويمكن أن ترتقي لتصير تناصاً مع "الرجل الأجوف" للشاعر الكبير "ت. س. إليوت" الذي يطمح لتحقيق أهدافه بأسرع ما يمكن عبر أدوار موهومة

[9] قراءة في رواية "الفطحل" للدكتور زهير ياسين شليبه، جمال جودة، 2 تشرين الاول 2023.

لكي يصنع لحظة تاريخية صاعقة دون أن تزمنه في طريق ذلك قطرة عرق واحدة. فالفطحل نموذج عملي للأحلام المتضخمة ذات البصمة الدونكيشوتية التي تستند إلى قاعدة هشة، بل منعدمة أساساً[10].

التأثير والتأثر:

إن تأثير الثقافات الغربية والأجنبية وخصوصاً الأدب الروسي، مثل دوستوييفسكي وغوغول وبوشكين وإيفان تورجينيف وميخائيل ليرمونتوف...والآخرين والثقافة الشرقية التي حملها الروائي زهير شليبه منذ طفولته جليّة وواضحة، علماً أنه ينحدر من عائلة مثقفة إذ أسهمت ذكرياته في تكوين مرجعياته الثقافية، فضلاً عن قدرته وتجربته في الكتابة والإبداع الأدبي، وقابليته لخلق الشخصيات الإيمائية مثل الشخصية الفطحلية العربية عامة والعراقية بخاصة في الغربة... لذا نجدها في الرواية ذات نكهة روسية، وتمثيل للشخصيات العراقية المغتربة ومعاناتها، حيث اعتمد الروائي على سلسلة سردية متواصلة أو متفرقة، ونجح في التقاط ألوان المانيكان المجوّف من زوايا مختلفة، بحسب ميخائيل باختين، من خلال لغة تفضل السرد العراقي المنطوق دون إلغاء ما يماثله من فصاحة لغوية وهدوء. فمن ناحية، يبرز الروائي زهير شليبه باعتباره الساخر الكبير الذي ينظر إلى العالم من زاوية حادة، تعتمد على مزيج بارع من العلوم النفسية والاجتماعية، وينفجر في الضحك طوال الوقت. يرى الروائي العراقي المعروف فؤاد التكرلي (1926-2008) أن الروائي زهير ياسين شليبه يملك قدرة حقيقية على السُّخْريَّة والتهكّم بنفس عراقي صميم بحيث لم يواجهه مع أي كاتب آخر "إنها سخرية مطبقة، إذا أمكن أن نسميها، لأنها لا تترك أحداً ولا تقف عند حد، ولقد ضحكتُ بصوتٍ عالٍ وأنا أقرأ بعض الفقرات التي لن يفهم

[10] ينظر: الصّخب الأجوف: حول رواية الفطحل للكاتب العراقي زهير شليبة، إسماعيل غزالي

دلالتها إلَّا العراقي"[11]. وبما أن الروائي زهير شليبه ناقد بطبيعته، فقد طرح ملاحظات نقدية جريئة وضمنية، وانتقد بعض الأعمال التي تدّعي الحداثة وانحطاط السلوكيات التي تخالف الذوق العام. ونجح، على الجانبين، في خلق فضاءٍ كوميدي ساخرٍ في روايته، ويسلّطُ ضوءَ اكتشافاتِه إلى مناطق بهلوانية في الدراما اليومية بأصالةٍ جريئةٍ ومرحةٍ. مع الكشف عن التناقضات التي تحصل في المجتمع والشجاعة في فضح التخريب الثقافي الذي عكر أجواء العصر بضجيج فارغ.

وإذا أردنا أن نتحدث عن التأثير، فقد أحبّ الدكتور زهير شليبه قراءة محمد الماغوط (1934-2006) ومقالات الكاتب المصري محمود السعدني 1928- 2010، والأفلام والمسرحيات العربية الكوميدية، للفنانين السوريين دريد لحّام وياسر العظمة، والممثل الكويتي عبد الحسين عبد الرضا وغيرهم. وكتّاب مجلتَي "كروكوديل- التمساح" و"فيليتون" (نوع صحفي مثل، قصة هزلية، تحقيق هزلي) والبرامج الكوميدية الهزلية الروسية والدنمركية.

وليس صدفةً أن زهير ياسين شليبه ترجم قصائد الشاعر الدنمركي الساخر بني أندرسن وربطته معه علاقة صداقة، بل حتى غائب طعمة فرمان الذي كرّسَ لحياته وأعماله أطروحته لنيل الدكتوراه إذ تميزت كتاباته أيضاً بالسخرية، وكان بحسب ذكرياته عنه ودوداً يحب المزاح باستمرار، كما أخبرني.

وقد قال لي الدكتور زهير ياسين شليبه بهذا الصدد "الشاعر الدنمركي الساخر بني أندرسن 1929- 2018 ألف قصته القصيرة الساخرة "أناشيد سفانته" عن شخص يتصور نفسه شاعراً عظيماً وضمّنها اشعاراً هزلية، لكني لم اطلع عليها إطلاقا قبل نشر كتابي الفطحل، وهذا ما يؤكد عالمية الظاهرة "الفطحلية" أو "الفطحليزم" كما اسميتها، وصحة مفهوم

---

[11] رسالة شخصية من الروائي الراحل فؤاد التكرلي إلى الروائي زهير شليبه، بتاريخ 1-7-1999 تونس، ينظر: رواية الفطحل:6.

"التشابه التايبولوجي النمطي" المهم في الأدب المقارن[12]. لا بد من التأكيد هنا أن بعض باحثي الأدب المقارن لا يجانبون الحقيقة عندما يصرّون على الخلط بين قراءات المبدعين للأعمال الأجنبية وتأثرهم بها بطريقة ميكانيكيةٍ أو استنساخ بحيث يقارنون شخصياتهم كأنهم استعاروها مباشرةً لمجرد وجود تشابه فيها، متناسين دور تشابه الظروف الموضوعية_والمجتمعات بغض النظر عن الاختلافات القومية بينها. وهذا لا يعني إنكار التأثير والتأثّر بالأساليب بين مختلف الكتّاب الأجانب، بدون إدراك الكاتب نفسه بذلك، حيث يكون ذلك ضمنياً من ذات الكاتب الإبداعية نفسه.

وبما إن الروائي عاش مع معاناة الشعب العراقي وهو في المنفى منذ السبعينات، ويعرف كل ما مر به شعبه من الحروب والحصار والأزمات ويتألّم مع آلامه وفي الوقت نفسه متخصص في الأدب والعلوم الاجتماعية والنفسية وله كتابات في هذا المجال نلاحظها تظهر في أغلب قصصه القصيرة المنشورة في مجموعته "كوابيس المنفى"، ورواية "الفطحل" التي نحن بصددها.

الكاتب زهير شليبه والسُّخْريَّة:

نشرَ زهير شليبه روايته رغم "تردده" أحياناً بسبب موقعه الأكاديمي وخشية عدم "تفهّم" بعضهم وبالذات التقليديين، لكنه، في المقابل، رفض عناوينَ مقترحةً مثل: "الطرطور" و"الصرصور" و"العبقري" و"الفلتة"... وإلخ، كونه لم يفكر بالإساءة الشخصية إلى "إنسانية" الفطحل، بل نقد الواقع الاجتماعي والمجتمعي الذي جعله يسلك بهذا الشكل، بحيث أضحى أضحوكةً ومثارَ سخريةِ الآخرين!. وأصر على عنوان "الفطحل"، الذي صار شائعاً بالمفهوم الساخر لا الحقيقي.

قد تكون أهمية الفطحل ازدادت واتسعت في خضم التغييرات السياسية التي حدثت في العقدين أو الثلاثة الأخيرة في بلدان الشرق الأوسط بما

---

[12] ينظر: "كتاب أغاني سفانته الشعبية" وقصائد بني أندرسن الساخرة، زهير ياسين شليبه، القدس العربي، 8 سبتمبر 2020.

فيها العربية، حيث شهدنا أفول حكومات وقادة سياسيين وإعلاميين وصعود آخرين أسموهم بسياسيي الصدفة وإعلامييها الذين لا يفهمون "الجوك من البوك" يظهرون على شاشات محطات تلفزيونية لا تعد ولا تحصى، يحاولون "التمنطق" واستخدام جمل جاهزة للتعبير عما يجول في خاطرهم، لكنهم مع ذلك لا يجلبون إلى أنفسهم غير سخرية الجمهور والتهكم به، بل إن الشخصية الفطحلية انتشرت لتصبح نمطيةً تنطبق حتى على الموظفين المرتشين والسياسيين الوصوليين الانتهازيين الصغار!
نستطيع القول إن السخرية يمكن ملاحظتها في نصوصه القصصية الأولى رغم أنه أحياناً يشذبها وينقحها ليجعلها "معقولةً" ومقبولةً للنشر.
وقد يكون من المفيد ان أشير مرّةً أخرى هنا إلى إصداره كتابه الجديد "جودلية"[13]، التي كما نرى عنوانها غير معتاد وغير متوقع، وهو عبارة عن سردية هجين عابرة للأجناس، خلطة، متنوعة "مرقعة" كالجودليات التي كانت شائعة في العراق والشرق الأوسط، أو مرصّعة بالماسات كقلادة على رقبة امرأة جميلة.
ويمكن لمس طابع السخرية والمرح والدعابة في رسائل بطل "جودليتة" يونس من خلال استعمال مفردات من اللهجة العراقية مثل مسودن، پاچَه، صُرُم باره، بربووگ، كلاوچي، بنات شلنفص، يُطبل صفح، طوايفي وتنكات أهلي والخ ولديه قصة بعنوان "مسودن العراق"، وكلمة مسودن كما هو معلوم خاصة بالعراقيين حصراً وتستعمل للمزاح وبطريقة وديّة، أو أنه يذكر في إحدى قصصه "بلد نفطي وحاكم عفطي!" وإن أحد أبطاله يتخيّل والدته المرأة ذات العجيزة الكبيرة تقود دراجة في شارع عراقي، ويصوّر الأطفال يركضون وراءها ويصيحون عليها "هيه، هيه، مخبله!" والخ.
لا أعتقد أنه سيجرؤ على استخدام هذا الحيز من السخرية لو لم يعش في مجتمعات متعددة الثقافات أضافت شيئاً إلى مرجعيته الثقافية العراقية الأولى وتأثره بها، وهو ما نعمل على تسليط الضوء عليه في بحثنا الحالي وقد نوسّعه في المستقبل.

---

[13] ينظر: جودليّة، زهير ياسين شليبه، دار الحضارة العربية، القاهرة 2025.

إن الروائي زهير شلیبه كاتب يعبر بصدق وأسلوبه يُميّز شخصيته وانتماءاته. يكتب روايته كأنما يكتب السيرية الغيرية، لأن أبطال الرواية معروفون ويصورهم بدقة، يقول:" ألو، هاي "مرحباً" أنا معارض عراقي وكاتب ومن المنفى، ممثل البرلمان العراقي في الشمال الأوروبي، أريدكم أن تعملوا مقابلة معي حتى نبدي رأينا بالأحداث"[14]. نلاحظ الروائي يعبر عن "الفطحل" عن طريق الوصف والمشاهدات الفنية الدرامية تتأرجح بين تجربته الكاريكاتورية في الغربة، وذكرياته الطفولية والشبابية في العراق، وهو عند السُّخْريَّة لا يلجأ الى التهريج والهجاء والفكاهة والهزل، بل يحافظ على وقاره، وشخصيته الثقافية والأدبية، حيث يركز على الانتقادات الاجتماعية والسياسية والأدبية فحسب.

ويعتمد زهير شلیبه بشكل كبير على السخرية كأداة أساسية للتعبير والتواصل مع القارئ. فالقصص في الرواية تقدّم صورةً واقعيةً للمجتمع وأحداثه، حيث يُظهر الكاتب العديد من الشخصيات الفريدة والمثيرة للضحك بأسلوب فكاهي يمزج بين الواقعية والتهكم المخفي. يقول: "صورت المجتمع العراقي وظواهره الاجتماعية السلبية خلال أبطال القصص وشخصية الفطحل السطحية المسالمة والآخرين الذين لا هم لهم غير تهميشه والسخرية منه"[15]. ويوضح الروائي عنوان رواية "الفطحل" قائلاً: "الفطحل...محاكاة ساخرة، ونصوص سردية مفتوحة"[16]، فهو لم يعرّفها كرواية لكن الناقد الكبير الراحل عدنان المبارك اعتبرها رواية[17]، ونحن نقوم بالأمر نفسه، لأننا نجدَ فيها جميع عناصر الرواية. من الجدير بالذكر أن أغلب من كتب عن مجموعة "كوابيس المنفى" لكاتبنا زهير ياسين شلیبه أشار إلى تميّز العديد من

---

[14] الرواية: 189.

[15] الرواية: 13.

[16] الرواية: 3.

[17] الرواية: مقدمة بقلم الناقد عدنان المبارك: 9.

مقاطعها بالسخرية السوداء، وأنها مشاريع روائية. وعندما سألته عن ذلك، أكّد صحته، وأنه لم ينجزها بسبب مشاغله الأكاديمية والتعليم الجامعي والوظيفة إضافة إلى عدم الاستقرار. لكنه أضاف سبباً آخر هو السخرية بلا حدود في نصوصها مما اضطرّه إلى مسحها منعاً لسوء الفهم من قبل القراء، واكتفى بنشرها كقصصٍ قصيرةٍ ولا يرى في ذلك أي ضير.

ويتخذ الروائي من السُّخْريَّة أداةً للتعبير عن الرأي والنقد الاجتماعي دون الإساءة المباشرة، من خلال راوٍ هو السارد العليم يتظاهر بأنه لا يتهكّم، ويترك هذه المهمّة للآخرين! والراوي في رواية "الفطحل" ليس شخصيّةً روائيّةً تتحرك مع الأبطال الآخرين، بل كأنّه "ظل" الكاتب أو "صورته" يشعر القارئ بأفكاره أحياناً على لسان بعض شخوص هذه السرديّة. حيث يقول زهير شليبه "أنه عرض مخطوطَ كتابه قبل نشره إلى بعض قرائه البسطاء والخبراء قبل نشره ليرى انطباعاتهم وردود أفعالهم ليتأكد من قبول مرجعيته الثقافية له وتحقيق فهم أوسع شريحة من قرائه العراقيين له، وحتى من بلدان عربية أخرى"[18].

يقول الروائي على لسان إحدى شخصياته: "لازم أحل لغز التكوين العراقي، هذه حفلتي اليوم. هذه هي طقوسي الاحتفالية العراقية. هذا هو السر العراقي"[19]. وتحتاج مكونات المجتمع العراقي الى التوعية للتخلص من بعض طبائع الشخصية العراقية- السلبية- مثل الفضولية ومتابعة الآخرين وتعاقب أسرارهم وأمورهم الشخصية، والسعي للكشف عن الغموض والحقيقة، فحاول الروائي زهير شليبه الوقوف على هذه الظاهرة المرفوضة بأسلوبه الفني الساخر، حيث يريد البحث عن التكوين العراقي على لسان إحدى شخصياته، والهدف الأساسي هو تعرية الأنظمة الاجتماعية والسياسية في العراق ونقد العادات والتقاليد السيئة في المجتمع. فالروائي زهير ياسين شليبه ناقدٌ أدبي ومترجم بين عدة لغات

[18] حواراتي مع الكاتب زهير شليبه. (الباحث).

[19] الرواية: 21.

ولا ينكر تأثره بالمسرح الروسي والسوفييتي، وباحثٌ اجتماعي يحاول الوصول إلى فهم معين لطبيعة المجتمع العراقي، من أجل التعايش والاحترام المتبادل والقبول بين الافراد المجتمع، رغم الاختلافات الدينية والإثنية والقومية أحيانا. وكل ذلك يتمُ بفضل السخرية من خلال ثقافته ورؤيته النقدية، ومواقفها الخاصة لها، حيث تعيش هذه المكونات في سلام وأمان مع بعضها بعضاً، والروائي يقف على ظاهرة اجتماعية سيئة في المجتمع العراقي، وهي ما تسمى بـ"القال والقيل" بين أفراد المجتمع، والنفاق والثرثرة والغيرة من الناجحين وحسدهم، والتدخل في شؤون الآخرين، ليعرفوا عنهم كل شيء..! سراً وعلنياً، وخاصة الشؤون الشخصية كالحب والحلم والأسرار...إلخ "يا إلهي، حتى الحلم ممنوع علينا، حتى الحلم لم يخلص منّا نحن العراقيين!"[20]. فمسألة التدخلات في الشؤون الشخصية للآخرين ظاهرة سيئة موجودة عند الأمم الشرقية أكثر مما هي عليه عند الغربيين، وهذا يعود إلى العلاقات الاجتماعية بين الناس وثقافة الفرد ووعيه، بحيث لا توجد في المجتمعات الغربية، ولا بدّ أن زهير شليبه انتبه إلى هذه الظاهرة من خلال إقامته في الغرب فكرّس لهذه الموضوعة والظاهرة عدة نتاجات وصفحات بأسلوبه الساخر، حيث يقول "تريدُ الأم أن تعلمَ كل خصوصيّات ابنتها وتفصيلاتها مهما صغرت، حتى حلمها على قاعدة الولد وما ملك لأبيه"[21]. فالروائي يقف على الظواهر السلبية في المجتمعات الشرقية عموماً وفي المجتمع العراقي بخاصة، بحيث لا يمكن مقارنتها بتاتاً بالغرب ولهذا انتبه إليها وأراد تعريتها وكانت سخريته منها صارخةً وعميقةً، يمكن أن نسمّيها السُّخْريَّة السوداء في رواية الفطحل أو (الكوميديا السوداء)، "وهي رؤية سردية عبثية متشائمة، قوامها الضحك الجنونيّ، والنقمة العارمة على معايير السلطة والمجتمع والقيم وطابوهات السياسيّين والمجتمع

---

[20] الرواية: 29.

[21] الرواية: 29.

الأبويّ"[22]. حيث يحاول الروائي تشخيص عيوب المجتمع واستشراف المستقبل بأسلوب ساخر ناقم من خلال الرؤية النقدية يهدف من خلاله نقد ساخر للمجتمع والسياسة والثقافة...إلخ من قضايا الاجتماعية والسياسية لإيصال رسالة معينة بطريقة طريفة جميلة. وقد أكّد لي د. زهير ياسين شليبه إعجابه الشديد بغوغول في هذا الميدان.

تأتي السُّخْريَّة في رواية "الفَطْحَل" من خلال عدة جوانب، منها:

أولاً: الشخصيات الكاريكاتوريَّة:

تُصوّر شخصيات الرّواية بطريقة مبالغ فيها تجعلها تبدو غريبةً ومضحكةً، مما تثير الضحك والدهشة لدى القارئ. فمثلاً (الفطحل) بطلُ الروايةِ شخصيةٌ متخيَّلةٌ تتمثل في نماذج بشرية مستمدّة من العالم العربي، لكنها بالتأكيد ليست خاصة بإثنية واحدة، بل تجسد ظاهرةً عالميةً، فهي تمثّل "دونكيشوتيين" يبحثون عن تسليط الأضواء عليهم، من الذين يمرون بالأزمات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الغربة. "يا أخي تساهلْ، ليش تسوّدها وتبكي بوجه الله؟! أنت تحب رسم الأدوار الكبيرة والتراجيدية لنفسك وتأليف القصص الدونكيشوتية"[23]. فالشخصيات الفطحلية ظاهرة عالمية موجودة في المجتمعات الغربية والشرقية، وتجسدت في النصوص العالميَّة، وأول من كتب عن هذا النمط من الإنسان المهمش هو الكاتب الروسي "نيقولاي غوغول"، كما يعترف بذلك الروائي الكبير "دوستوييفسكي" بمقولته الشهيرة "كلنا خرجنا من معطف غوغول". ويقول الروائي زهير شليبه في وصفه لشخصية "الفطحل" في الرواية على لسان إحدى شخصياته: "بابا إشبيكم أنتم مهتمين به؟ سبع الرجّال اللّي يعبّي بالسِكلّة رقّي: كلاوجي، تافه، أجوف،

---

[22] ينظر: النقد الحضاريّ للمجتمع العربيّ في نهاية القرن العشرين، هشام شرابي، مركز دراسات الوَحدة العربية، ط 1، بيروت، 1990.

[23] الرواية: 68.

فارغ، فطحل زمانه، كذاب، شتحبّون تسمّوه سمّوه، المهم هو يأخذ الشيء اللّي يريده، الله يوفقه، يا معودين، الباقين تَرَه مو أحسن منه، قبل كم يوم شفت واحد يقول لي: خلينا نرجع للعراق ونغرف بالفلوس، لَعَد بَسْ هُمَّه، إحنه هَمْ لازم نأخذ حصتنا، سألتُه من أنتم؟ قال لي: إحنه العراقيين اللي عايشين بالخارج، المعارضة، قلت له: أنت إشوقت صرت بالمعارضة؟"[24]. وقد ذهب الروائي الى الاختيار لهذا النمط من الشخصيات المنبوذة والفارغة والسخرية منها للأغراض المتعمدة، منها إبراز عيوبها ونقاط ضعفها، والتعليق على المواقف الاجتماعية والسياسية والثقافية. حيث يعترف الروائي في مقدمة الرواية بأن "هذه المحاكاة الساخرة مكرسة لشخصية نموذج لأولئك الذين يرسمون لأنفسهم أدواراً دونكيشوتية كبيرة فيبدون بهلوانيين، وللطريقة القاسية، العراقية بامتياز في التعامل معه بحيث صارت وبمرور الزمن تتردد بين أوساط المثقفين مصطلحات مثل: بهلوان، طرطور، عبقري، فطحل، طفيلي، مهووس، وإلخ عن أولئك الذين يحبون الظهور والوصول بأي ثمن وبدون جهود ومعاناة ومثابرة حقيقية"[25]. وهذا لا يعني بأن الروائي يحقد على أبطال قصصه، بل أنه يحبهم كثيراً، ولم يسخر منهم، كما يقول في إهداء الرَّواية "معكم أسخر لا منكمُ".

فمثلاً شخصيةَ "الفطحل" باعتباره مخالفاً للأناس العاديين الذين يعملون أو يذهبون إلى المدارس أو يهتمون بالقراءة والكتابة استغلالاً لأوقاتهم، فيقول عنه بسخرية عراقية واضحة: "لم يَبقَ شارعٌ أو سابلةٌ أو طريقٌ أو جادةٌ أو دربٌ أو زقاقٌ أو ممرٌ أو حتى ممشى في المدينة وحاراتها دون أن يمر به جيئةٌ وذهاباً كما كان يفعل في شارع الرشيد حيث كان يحصي أعمدته كل يوم كما كانت والدته تعيّرُهُ ساخرةً منه!"[26] فالنص قائم على أسلوب عراقي ساخر يستخدمه الرّوائي في وصفه لحال

---

[24] الرواية: 192.

[25] الرواية:14.

[26] الرواية:65.

الشرقيين الذين يذهبون إلى الغرب، وخصوصاً العراقيين. وفضلاً على ذلك، يجيد الرّوائي اللغات العديدة ومُطَّلِع على الثقافات المختلفة، حيثُ يصوّرُ "الفطحل" شخصاً منقطعاً عن أهله منذ عدة سنوات ليس لديه صلة بهم لدرجةٍ اعتبروه ميتاً، ومع ذلك يتابع "المسكين" صندوقَ بريده وينتظرُ ساعي البريد يومياً! وغيابُه أو تأخّرُه بالنسبة له أمر شديد الخطورة!، "سأله مرة ساعي البريد متعاطفاً معه، فيما إذا كان ينتظر رسالة من والديه أو من شخصٍ آخر بعيد، كذَّب الفطحلُ، ردَّ عليه بالإيجاب متذكراً بألمٍ بأنه لم يكتب إلى أهله منذ زمن طويل متمتماً بين نفسه "أي أهل هؤلاء تركوا ابنهم الطايح الحظ والبخت"[27]. فالروائي يمزج بين الواقع والخيال، لخلق النص المضحك المبكي بحيث يريد جذب انتباه المتلقي بإدخاله في دائرة الغموض اللفظي، باستخدام عبارة (الطايح الحظ والبخت!) باللهجة العراقية الشعبية، على لسان شخصية "الفطحل" المسكين، وهو شخصية مركبة ومتذبذبة، ويشعر بالنقص دائماً، حيث يخاطب نفسه عن طريق المونولوج، وكان دائماً يخاطب نفسه "آني طايح الحظ". حيث يشتكي لحاله وعلى أهله دائماً كونهم لا يسألون أبداً عنه، في حين هو نفسه يقاطعهم ولا يتواصل معهم، بل لا يريد مراسلاتهم، مع ذلك يريد منهم أن يسألوا عنه ويتابعوه ويراسلوه في حين يدعي دائماً بأنه لم يكن له أحد..! ويسهر مع الآخرين، "أرجوك، لا تخبر أي واحد عن موضوع أهلي، وبالمناسبة إذا أهلك اتصلوا بك مرة ثانية وسألوك عني قلْ لهم آني فعلاً استشهدت بكردستان"[28]. نلاحظ بأن الروائي يستخدم الحوارات بين الشخصيات لإبراز سذاجتها أو طفوليتها أو تحجرها لتوظيف السخرية من النص. ومن خلال السرد الساخر للفطحل يبين لنا بأنه يتصور نفسه شخصاً عظيماً وشاعراً مرموقاً رغم ضحالة ثقافته، ولا يصغي إلى الآخرين، بل يحب أن يتكلم دائماً والناس يسمعون له، حيث يجمع الأبيات من الناس والشعراء الآخرين، وينسبها لنفسه ويذهب

---

[27] الرواية:65.

[28] الرواية:69.

إلى الأماكن الثقافية ليدّعي بأنه مثقف، طلباً للشهرة على الفاضي، كما يقول شكسبير عن هذا النوع من الشخصيات.

لقد نجح الروائي في توظيف شخصية الفطحل، وهو عاش ويعيش مع هذه الأنماط من الشخصيات في الغربة، كأنه يكتب عن الشخصيات المعروفة، مع إن الفطاحل كثيرون في المجتمعات الشرقية وفي المجتمع العراقي، وهناك بعض الصفات والتصرفات التي نلاحظها في شخصية "الفطحل" تذكرنا بالصفات والملامح التي تميز شخصية البطل في رواية "المفتش" للروائي الكبير غوغل، والذي يضحك على الآخرين، ويحاول أن يعيش على الهواء والكذب، كما نجد هذا النمط من الشخصيات عند الشاعر السوري محمد الماغوط، والكاتب التركي عزيز نسين، والآخرين.

أما بخصوص التشابه بين رواية "الفطحل" والإبداعات الأدبية العالمية الأخرى إن وجدَ، هي مسألة جدلية فالتشابهات النمطية الاجتماعية والسياسية كثيرة بين المجتمعات، والتي تنعكس على الإبداعات الأدبية، حيث يقول الروائي زهير شليبه عن هذه العلاقات والتشابهات، بأنها "علاقات "تايبولوجية" نمطية موضوعية، تَشابُهات أو سمات مشتركة بين الظواهر الأدبية المختلفة، (مثل الأعمال الأدبية وأساليب الكتّاب والتيارات الأدبية وآداب مختلف العصور)، وهي مرتبطة ومحددة بظروف الواقع الاجتماعي والفكري، التي تحيط بالكاتب، وتظهر هذه الصلات بغض النظر عن وعي الأدباء لها. يجب أن نميز بين العلاقات التتابعية المنشأية (مثل ترسخ الواقعية من خلال الرومانسية) وبين العلاقات الأدبية المتبادلة بين الكتّاب والتي تتم بوعي منهم، مثل علاقة الشاعر الإنجليزي المعروف بايرون بالشاعر الروسي بوشكين"[29]. وقد

[29] في الأدب العربي الحديث. دراسات وحوارات في التنويرية العربية والاستشراق الروسي، د. زهير ياسين شليبه. ينظر: التشابه "التايبولوجي" النمطي في الآداب والنتاجات الأدبية ص 195. دار الأنام. بيروت 2025.

لاحظنا من خلال الدراسات النقدية التي أنجزها زهير شلبيه، أنه مطلع على الآداب الأجنبية وله إلمام بها، وبخاصة الآداب الساخرة. وهذا لا يعني بأنه أخذ منها أو تأثر بها، حيث يرى الروائي بأن الحديث عن التأثيرات الأدبية ليس له أهمية ما لم يتم إثباته في الدراسات النقدية المقارنة، لكن العلاقات النمطية هي التي تساعد الباحثين والدارسين على تمييز السمات الذاتية والخاصة، وليس بالضرورة دوماً أن نعتبر كل تشابه السخريات بين الآداب المختلفة، نتيجةً للتأثّر، بل قد تكون أيضاً لتشابه البيئات والعادات والتقاليد رغم اختلاف لغات الشعوب وأساليب الكتّاب... فمثلا يترك الفطحل الدراسة في المدرسة لأنه يعتقد أنه عبقري وعليه التفرغ للشعر! أو هو مفلس يعيش عالةً على الآخرين، ومع ذلك يبحث عن مكتب مناسب لكتابة قصائده الجهنمية فيه! هذه الحالة ظاهرة موجودة في عدة مجتمعات ومناطق جغرافية مختلفة! "وقال فيه شعراً معارضاً ومحاكياً إياه، ساخراً متهكماً ألقاه في المقاهي ومجالس النفاق وألصقه على الحيطان في كل مكان:

أيها الفطحل/ الشاعر الولهان/ الفولاذ/ أما زلت تكتب الهذيان/ وتسميه شعراً بكل زور وبهتان/ ولكن ما عساي أن أف/ عَل/ أيها ال/ فَط....حلْ/ إنه الزمن الفطحلي لا وجود فيه لا لعدالة المستبدين ولا الجبابرة والملوك والبحر، عدالةُ البحر / أن يحلّقَ النورَسُ/ عالياً فوق فوق/ يهبط ليلتقط القشَّ من رغوة الأمواج/ آه من الرغوةِ/ عدالةُ البحر أن يعوم الرجل/ يضرب الأمواجَ بيديه/ يرفس سمك القرش بقدميه/ وينفخ في الرغوة./ عدالة البحر أن ترقصَ الحوريةُ/ وتطربَ على الأنغام/ أي بش هؤلاء؟ أيّ أنام؟..."[30].

هناك قصائد كثيرة وردت في الرواية، للسخرية والتهكم من بعض أدعياء الشعر البسطاء وليس الموهوبين الحقيقيين، وتحاكي الحاضر فتبيّن مثلاً اهتمامهم بالشكل وكيف يكتبون: "الفط ... حل"، مما يعزّز فكرة التهكم ضمنياً وما بين السطور: أيها الفط ... حل الشاعر...لازم فيه فكرة جديدة

[30] الرواية: 79.

وجميلة ...آلهة يونانيين وفيها المبالغات، وبما إن الكاتب نشأ في بيئةٍ أدبية، وعنده خلفية شعرية، والعراقيين لديهم كثير من الشعراء... فله قدرة فائقة في نظم القصائد المتميزة، بالسخرية الضمنية والتهكم...وهناك من يعدها شعراً...ولكن برأيي الشخصي أن معناها ومستواها أعلى من الفطحل وكان المفروض أن يكون مستواها أقل لأنها جيدة... ولا اعتقد أنه سيجد صعوبةً في نشرها في الصحافة لو أراد ذلك، لكنه لا يريد أن يشتهر كشاعرٍ...

لا بّد من الإشارة إلى أني اعتقدتُ هذه الأشعار المتضمنة في رواية "الفطحل" استعارها الكاتب من شعراء آخرين، لكني فهمتُ منه شخصياً أنها له وأنه هو كاتبها "بما يتناسب مع النص"، كما قال لي في حوار شخصي معه. فالروائي استعان بقدرته الشعرية وكتابتها ونلاحظ تجسيد حشد كبير من القصائد الشعرية الفطحلية على لسان شخصياته والتي نسقت مع السرد، وتمازجت مع النص الروائي. كما وردت مجموعة من القصائد الطويلة المهداة إلى المجانين وعلى لسان "غوني الملاخ". كما يستعين الروائي بالتخيلات والأحلام والتصورات والتنبؤات... والرواية كنص منفتح على الواقع لها مرجعياتها التاريخية ومبرراتها الواقعية، حيث تعتمد على جانبَي السرد المهمّين: "حكائي" و"خطابي" كما تكرس مدرسة الشكلانية الروسية. ونشير هنا أيضاً إلى أن هذه الرواية تصلح لتكون مسرحية أو عرضاً درامياً لأننا نجد فيها مقومات المسرحية والدراما الفنية.

ثانياً: السُّخْريَّة اللاذعة:

وهذا النوع من السُّخْريَّة تستخدم من خلالها الكلمات والعبارات الحادة والتهكم من الآخرين متجاوزاً لفظياً عن حقهم، بهدف الإساءة والجرح والتقليل من القيمة وهي غير مقبولة وغير مرغوبة. "وإذ تطغى السُّخْريَّة اللاذعة لنبرة السارد وهو يدون حالات الفطحل المتعاقبة، فلا يعني هذا أن الخطاب يلتزم هنا بهذه النبرة الفاضحة التي تعري الشخصية بشكل مبرح يتخلق عنه نوع من الكوميديا السوداء وروح الدعابة (الباروديا

تحديداً). ففي ثنايا الخطاب يتوارى حس درامي ينتزع منا لحظة للتعاطف مع هذه الشخصية على سبيل الشفقة انطلاقاً من افصاح السرد عن الندوب والكدمات والجراح التي تتقعر ذاكرة ووجدان هذه الشخصية ذات النزوع المسالم. الشخصية المعرضة للهزء ذات الخلقة الاجتماعية المشوهة من الداخل"[31].

وقد اختار الروائي بعض عبارات معروفة ومفهومة في المجتمعات الشرقية، والعراقية خصوصاً، أو لدى مجموعة من الناس، فمثلاً في العراق يسمون أي شخص أعور عبارات (تَك لايت أو تَك عين، موشي دايان أو الأعور...إلخ) وهي الفاظ دنيئة ونقيصة، "الفطحل كريم العين! الناس يسمونه الأعور! وبعضهم من غلاة السفهاء يناديه بصيغة التصغير "الأعيور، ويسمونه الأعور، ومنهم يسمّونه الأعور الدجال سخريةً منه! ومرات يقولون عنه موشي دايان"[32]. ومن الواضح أن زهير ياسين شليبه ينتقد الناس الذين يستخدمون هذه المفردات معتبراً إيّاهم "غلاة السفهاء" رافضاً قولهم "الأعور" مفضّلاً عبارة "كريم العين" معبّراً بذلك عن مشاعره الإنسانية.
فمن خلال هذا المقطع نجد السخرية من خلال الاستهزاء واختيار الفاظ كالأعور والأعيور والأعور الدجال، وموشي دايان، محاولة لتشويه المظهر الخارجي لشخصية الفطحل، وهذا التشبيه بموشي دايان تعد من المرجعيات الثقافية التاريخية...

ثالثاً: الأحداث الكوميدية:

يمكن أن تكون السردية الساخرة تعليقاً على التفاصيل اليومية والأحداث والحروب والكوارث، وقد تضمنت رواية الفطحل سلسلة من الأحداث

---

[31] الصخب الأجوف وتقمص الظواهر الشعرية، إسماعيل غزالي، ألف ياء، جريدة الزمان،

[32] الرواية: 89.

الكوميدية والمفاجآت غير المتوقعة التي تعزز جوانب السُّخْريَّة والفكاهة في السرد.

"يا إلهي إنها تمزق لوحتي من جديد، امرأة شريرة للغاية، شرّانية تقدح عيناها بالشرر، شرٌ هذا أم غضب من الله عليها وأهلها وناسها، يا إلهي ماذا حل بهذا القوم؟"[33] فهذه المرأة تمثل الشخصية الشريرة في المجتمع بتدخلاتها في شوؤن الآخرين وتخلفها وعدم فهمها لقيمة الفن، وهي التي كسرت اللوحة، ولكن أكثر من ذلك كسر قيود المجتمع، بنتهم تبكي، أهلها يريدون يعرفون ليش تبكي، فهل هي حلمت، هل اغتصبت هل تحرشوا بها؟ حتى في الحلم يتدخلون، أو (حتى النغل يبحثون عن أصله) كما يقول العراقيون"، وهي نوع من السُّخْريَّة!

دأب زهير ياسين شليبه على استخدامها، بعض المرات يكتب الروائي بطريقة غير مفهومةٍ، لهذا يحتاج القارئ أن يعرف الخلفية الاجتماعية للحدث، كذلك لوجود اللهجات السورية والمغربية والليبية، ومن جهة أخرى اختصرت للسُّخْريَّة من خلال التلميح لا التصريح ليترك فهم الأمر للقارئ، كأنه يريد أن يحافظ على طابعها الدرامي لاحتوائها على عدة قضايا اجتماعية.

رابعاً: اللغة والتعليقات الساخرة:

يستخدم زهير شليبه لغةً وتعليقاتٍ ساخرةً نظماً ونثراً بالفصيحة واللهجات (الفضيحة) كما يسمّيها أحياناً، لوصف الأحداث والشخصيات، مما يزيد من طابع السُّخْريَّة في الرواية.

وقد برع الروائي في روايته (الفطحل)، أعتقد أنه يعد من الروائيين الذين يستخدمون اللغة السلسة والمبتكرة في الكتابة، وتتميز لغته بعبارات من اللهجات المحكية (جارگون)، مستمدة بالذات من اللهجة العراقية وأحياناً المصرية والسورية والمغربية، بل ومفردات من لغات أخرى مثل الروسية والدنماركية، التي تجذب القراء وتجعلهم يفهمون الفكرة بسهولة حتى في أصعب القضايا. ويستخدم أسلوب الوصف الواقعي لشخصيات

---

[33] الرواية: 35.

تبدو واقعية في قصص تُنسج من خيال الكاتب ويستمدها أيضاً من تجاربه الشخصية وحياته في بلدان أخرى أثرت عالمه الإبداعي وجعلته ينظر بعين جديدة ويمتلك ناصية أسلوب أدبي خاص في حواراته المتخيلة أو قصصه القصيرة التي تجسد المواقف والأفكار التي يريد تناولها، وهذا ما يساعده على إيصال رسائله بشكل فعَّال. ويعالج الروائي مواضيعَ متنوعةً تشمل السياسة، الاقتصاد، الدين، الثقافة، المجتمع، بأسلوب ساخر يمزج بين النقد العميق والفكاهة، مما يجعل قراءته ممتعةً ومفيدةً في الوقت ذاته، ويسهم في إثارة التفكير والنقاش حول هذه القضايا بشكل إيجابي.

يعتبر زهير شليبه اللهجات كنوزاً لغويةً وأدبيةً، يجب على كل مبدع وبالذات كتّاب القصة القصيرة والرواية الاستفادة من مخابئها والاستعانة بها، بل لا يمكن الاستغناء عنها حتى في مجال الترجمة!

نقرأ في الرواية "... كلب ابن كلب، رفض كل شيء وتالي مَتالي طلع فارغ ما عنده كل قوة"، وعلق آخر: هذا متآمر، متفق مع الأمريكان" وقال آخر باللهجة اللبنانية: هذا كله ما يضبط مع الأمريكان هلَّه تشوفوا شو يصير بهم لما يدخلوا العراق حتى لو عندهم نية بناء العراق شعبنا ما بيخليهم، هيك حصل عندنا في لبنان وعلق آخر باللهجة المصرية: آه طبعاً، إزاي يخلوهم يخربوا العراق، دُول مِش حيبنو العراق، دُول حيسرقوه، أنت فاكرهم عبيط يبنوا العراق، وليه حيبنوه؟ على سواد عيونا إحنه العرب، [.....] قال آخر باللهجة السورية: "هلَّه تشوفوا شو حتعمل فيهم المقاومة"[34]. وقد كتب الروائي روايته باللغة العربية الفصحى، أما العامية فاقتصرت على الحوارات، حيث وظف في الرواية لهجات مختلفة منها العراقية، واللبنانية والليبية والشامية والمصرية كما ألمحنا سابقاً. وحاول متحفظاً على استخدام الألفاظ "الدنيئة"، فمثلا يقول الراوي محدثاً بعض شخصيات الرواية بلهجة عراقية قد تكون بعض مفرداتها عصية الفهم من غير العراقيين: "الما عنده شغل وعمل... يلعب بـ... سامحوني

---

[34] الرواية: 195.

يا جماعة!"[35]. كأنه في المثل العراقي يقول (يلعب بخصيته) نوع من السخرية. ولا ينسى الكاتب أن يصوّر شخصيةً مصريةً تتحدّث بلهجتها المعروفة: "آه طبعا، إزاي يخلّوهم يخربوا العراق، دول (هذول) مش حيبنوا العراق، دول حيسرقوه، أنت فاكرهم عبيط يبنوا العراق، وليه حيبنوه؟ على سواد عيوننا إحنه العرب، دول يهود حاقدين على قوة الشعب العراقي"[36].

واحتفت الرواية ليس بتنوع اللهجات العربية والفصحى فحسب، بل بعض العبارات الأجنبية، فيقول ساخراً من طريقة الفطحل فالكلام بالإنجليزية الركيكة:

"– آي تومورا فوق (قالها مشيراً بيده إلى الأعلى) إراك، إراك، يو هير، أوكي، أوكي؟"[37]. يقصد راح أطير بكرى بالطيارة إلى العراق، وهذا دليل على قلة معرفته باللغات.

خامساً: النقد الاجتماعي والسياسي بطريقةٍ ساخرةٍ:

تناول الروائي قضايا اجتماعية وسياسية بطريقة ساخرة وهادفة، مما يعزز قوة رسالته الأدبية. فهو يسخر من خلال شخصية "الفطحل" المزدوجة دون التجريح، بحيث يجعلنا نشارك السخرية بأسلوبه، وفي الحقيقة إن "الفطحل في هذه الرواية تشخيص أدبي لحالة أو أزمة نفسية وعقلية أصابت أكثر من جيل في العالم العربي، تعود بدايتها إلى خلل

---

[35] الرواية: 46.

[36] الرواية: 31.

[37] الرواية: 196.

أساسي في النهضة العربية الحديثة"[38]. فالروائي قام بنقل فكرته خلال توظيف الازدواجية التي تكون بين فردية "الفطحل" بوصفها شخصية خيالية أدبية، وعموميته بوصفها ظاهرة اجتماعية عالمية، بصفاتها الشخصية وحالاتها المرضية النفسية والاجتماعية جميعها، حيث تجتمع لتتكون فاعليتها بوصفها شخصية أدبية.

إن رواية "الفطحل" تعد واحدة من الأعمال الأدبية التي تجمع بين السُّخْريَّة والفكاهة المبطّنة مع التعبير الجاد عن قضايا مهمة، مما يجعل قرائتها ممتعةً ومثيرةً للتفكير في آن واحد، إذ استخدم الكاتب زهير شليبه السُّخْريَّة بوصفها طريقةً للتعبير عن القضايا السياسية والاجتماعية التي يعاني منها ليس الفرد العراقي في المهجر فحسب، بل في كل المجتمعات الأخرى، لكنها قد تكون مخفيةً تظهر جليّاً عند التحوّلات الكبيرة مثل الثورات والانقلابات السياسية والحروب والهجرات، التي تؤدي إلى تخلخل الهوية الاجتماعية للناس.

ويسرد الراوي في الرواية بسخرية مبكية مضحكة، بحيث يشعر المتلقي بأن "الفطحل" ليس غريباً عليه، بل مر على هذا النوع من الشخصية مراراً، وبالمرض الذي يعاني منه المجتمع العربي عامة ومنه العراقي بخاصة، وكيفية التعامل مع هذه الحالات المرضية التي تظهر من خلال الظاهرة الفطحلية، فمثلاً يعتقد بأنه مهم ويعرف الكثير، ويتظاهر بأنه يعرف كل شيء وأنه شاعر عظيم، يعرف اللغات، لكنه لا يعرف أي شيء حقاً، يتفلسف ويكبر نفسه على الهواء، يقول الروائي بسخرية مبطنة واصفًا بطله الفطحل "توقفَ عند كشك لبيع الصحف، قرأ عناوينها الرئيسة: وقوع حرب وشيكة، تحرير العراق، السطو على آبار النفط

[38] قراءة في رواية "الفطحل" للدكتور زهير ياسين شليبه، جمال جودة، 2 تشرين الاول 2023،

العراقية... قال لنفسه يبدو أن ساعة الصفر قد حانت.... نضالنا ضد الطغاة راح يجيب نتيجة ويصل إلى نهايته..."[39].

يتعامل الروائي مع "الفطحل" بوصفها شخصية متميزة بصفات سلبية، مع إنها "تتطور" بشكل ملحوظ كما يتصور بعض الناس، إذ تظهر في التلفاز وتشتهر نوعاً ما "صار الفطحل كثير الحضور في المحطات الفضائية، وأصبح يرتدي البدلات الأنيقة للغاية وأربطة العنق الموردة، المزركشة، ذات الألوان المتنوعة كالأحمر والأرجواني، غالباً ما كان يظهر حليق الذقن مصفّفَ الشعر سَبِلَه ويبدو مزيتا، أصبح وجهه أكبر أو أسمن وبدت وجنتاه متوردتين رغم سمار بشرته..."[40]. إنها سخرية حزينة، عبّر الكاتب من خلالها عن الواقع العراقي الجديد، الذي تنبّا به عشية سقوط بغداد وكان العراقيون يتوقعون الأفضل لأنهم كانوا تحت الدكتاتورية والحروب والحصار فكانوا كالغريق الذي يتشبّثُ بالقشّةِ! لكن النتيجة أنهم يعانون حتى يومنا هذا من عدة صعوبات مثل ظاهرة الفساد التي تفشّت في المجتمع كما تنتشر النار في الهشيم!

فمن خلال هذا المقطع يحاول الروائي أن يبين لنا نقده الساخر للفطحل دون إيلام أو تشويه، للحالات التي تكثر في العراق آنذاك، ولكن لقلة الحرية في التعبير عن الرأي ونلاحظ بأن الروائي يدافع بأسلوبه الساخر عن القيم الإنسانية " أخي أنت ليش كل شيء عندك أما أسود أو أبيض، تخيّرني إمّا دكتاتور أو لص ومحتال مع الأمريكان، آني ما أريد دكتاتور "عفطي" ولا أدعم الحرب ولا الأمريكان ولا الأجانب"[41]. لاحظ استخدامه للعاميّة "عفطي"! من يخطر بباله استعمالها بهذه الطريقة استعمالها؟! أو يقول في قصة أخرى حديثة عن العراق: "بلد نفطي وحاكم عفطي"!

---

[39] الرواية: 183.

[40] الرواية: 197.

[41] الرواية: 158.

كما يدافع الروائي شليبه عن القضايا الإنسانية في بلده وأوضاعه منتقداً عدم استقراره، حيث يثير المتلقي ويدافع عن قضايا القيم الإنسانية ويحثُ مشاعره ضد التخلف والخوف، والخرافات، والآلام مشيراً إلى مواضع الظلم حافزاً على الفهم كأنه يوجّه أحاسيس الإنسان نحو الآلام واكتشاف مواضعها، **مكرّما تقوي الضمير**. والأديب الساخر يمتلك ظرافة تقدر على إضحاك الباكي الحزين المصاب بالآلام تأكيداً على ما يعانيه منها.

ويحاول الكاتب نقل فكرتِه بطريقةٍ بسيطةٍ لتحقيق أغراضه التي لجأ إلى الموازنة بين النقائض إذ يضع المحاسن أمام المساوئ، والجمال أمام القبح، والسمعة الحسنة أمام نقيضها، والموت أمام الحياة العذبة، ويرفع رايات غضبه موجّها سهامه وسخريته نحو كل ما اصطبغ بصبغة القبح والرذيلة.

؟؟؟ هناك أناس كثيرون ليس لهم أي حق في السياسة والمعارضة وأصبحوا الآن في السلطة كالسياسيين الذين كانوا مع السلطة البائدة كغالبية الشخصيات القيادية، وكانوا يمثلون الحكومة ولكن وكما يقول المثل "كلما دخلت أمة لعنت أختَها" السلطات السياسة ولكن ليست لهم علاقة لا بالسياسة ولا بالثقافة وليس لديهم لا شهادة ولا وعي، بل جاءوا بالقوة، وفي النتيجة سقطوا بالقوة ايضا، ودمروا العراق من خلال الحروب والحصار...الخ وليس من المستبعد أن يُكتب التاريخ المزور في المستقبل بأنهم هُم الأبطال مثل علي بن أبي طالب وعمر المختار والآخرين...فالروائي يريد من الناس أن يرتقي مستواهم ويزداد وعيهم، ولهذا يسخر مع المتلقي ولا يسخر منهم كما قال في مقدمته.
" - آني من أين لي فلوس أنت والله تحكي عجايب غرايب؟ - خلاص يا أخي لا تكتب لهم رسالة ولا هم يحزنون، راح أقول لهم أنت فعلاً كنت في كردستان ومِتِت هناك، راح أخبرهم أو بالأحرى أزف لهم البشرى:

أنت مُتَّ شهيداً في الجبال! والله يرحمك، أنت تريد تبيع بطولات على أهلك، آني شنو دخلي بالموضوع، بَسْ ردت..."[42].

الخاتمة:

في ختام هذا البحث (السُّخْريَّة في رواية الفطحل) وصل الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات والأهداف... يمكن تلخيص أهمها في مايلي:

1- إن "الفطحل" ظاهرة عالمية موجودة في المجتمعات الغربية والشرقية، وقد تمّ توظيفها في الآداب العالمية، قد تكون متشابهةً مع بعض الأمم، وهذا التشابه قد تكون من باب التأثير والتأثر أو لا تكون.
2- إن الروائي زهير ياسين شليبه يقصد في رواية "الفطحل" تعرية المجتمع العراقي وفضح الشخصية الوصولية والأنانية، وعندما وصف شخصية "الفطحل" فقد كان يعني مجموعة من العراقيين لفظتهم المنافي فعادوا ينتهزون أية فرصة للشهرة فوقعوا في فخ نصبوه لأنفسهم. هؤلاء فقاعات ليس لهم في نظره أي دور في العراق.
3- إنَّ الروائي زهير شليبه من الكُتَّاب المعاصرين، ممن ارتبطت نتاجاته بالمرجعيات الثّقافيّة التي تحمل في ذاكرته الثقافية الفنون القصصية المتنوعة بوعي وقصدية... والمرجعيات الثقافية التي ساهمت في تكوين شخصيته الثقافية الواسعة والعميقة كثيرة.
4- الروائي صاحب أسلوب ساخر متميز، له قدرة فائقة في وصف أبطاله وتوظيفها فهو يكتب القصة كأنه يصوّر أشخاصاً عرف سيرتهم الذاتية.
5- وتميز هذا الأسلوب بسِمةِ "البوليفونيا" أو تعدد الأصوات وتناغمها، الذي يشترط وجود لغة مليئة بتنوع المفردات المأخوذة من خزين الكاتب الثقافي مثل اللهجات والحكم والأمثال

---

[42] الرواية: 68.

واللغات الأجنبية التي استخدمها كثيراً توظيفاً للسخرية. ولاحظتُ أن د. زهير شليبه يهتم بعلاقة اللهجات بالسخرية، وينظر إلى العمل الأدبي وبالذات الروائي بإيجابية إذا كانت لغته ثريةً ومتنوعةً. كمثالٍ على ذلك أود أن أذكر مقالَه عن رواية "زينب" للشاعر الدكتور عارف الساعدي لتميزها بالسخرية المستمدة من كلمات اللهجة العراقية البغدادية وبالذات الجنوبية.

6- يريد شليبه من الناس الارتقاء بمستواهم، ويسخر مع المتلقين ولا يسخر منهم. وهو يسخر من أولئك الذين لا يملكون إلا أن يزعموا ويدّعوا، ثم إذا بهم كفقاعة لا تلبث أن تنفجر، وحتى الانفجار يكون باهتاً.

7- إن الروائي يسخر دون أن يجرح، ويجذب إليه القارئ بلطف لمساته الساخرة، بل ويُشركه في السُّخْريَّة، حين يتعرف هذا على التعابير الساخرة، خاصةً إذا كان عراقياً،

8- إنّ النكهة العراقية واضحة في الديباجات رغم نزوعها إلى الطابع الكوني الشامل. ثم إنه لا يُستبعد أن يشعر القارئ نفسه بأنه مشمول بالنقد، ويقول المؤلف في مقدمته بصراحة الندامى "إلى أبطال قصصي الذين أحبهم كثيراً!

قائمة المصادر والمراجع:

- أدب السُّخْريَّة بخلاء الجاحظ وموليير دراسة مقارنة، فاطمة زروقي وخالدية سعدي، رسالة ماجستير في الأدب الحديث، جامعة ابن خلدون تيارت، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2019-2020.
- **في الأدب العربي الحديث. دراسات وحوارات في التنويرية العربية والاستشراق الروسي. د. زهير ياسين شليبه.**
- التشابه "التايبولوجي" النمطي في الآداب والنتاجات الأدبية، زهير ياسين شليبه، صحيفة المثقف، 23 تشرين الأول 2025. ص195
- "كتاب أغاني سفانته الشعبية" وقصائد بني أندرسن الساخرة، زهير ياسين شليبه. القدس العربي، 8 سبتمبر 2020.

- الرواية والحرب، أحمد أبو مطر، المؤسسة العربية للنشر، ط2، بيروت، 1994.
- السُّخْريَّة في الأدب الجزائري الحديث، مطبعة عربية، محمد ناصر بوحجام، د.ط، 2004.
- السُّخْريَّة في مسرح أنطون غندور، سوزان عكاري، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 1994.
- الصّخب الأجوف وتقمص الظواهر الشعرية: حول رواية الفطحل للكاتب العراقي زهير شليبة، إسماعيل غزالي، ألف ياء. جريدة الزمان
- جودليّة، **زهير ياسين شليبه، دار الحضارة العربية، القاهرة 2025.**
- الفطحل، زهير ياسين شليبه، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2005- 2008.
- قراءة في رواية "الفطحل" للدكتور زهير ياسين شليبه، جمال جودة، 2 تشرين الاول 2023.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس،2007.
- النقد الحضاريّ للمجتمع العربيّ في نهاية القرن العشرين، هشام شرابي، مركَز دراسات الوَحدة العربية، ط 1، بيروت، 1990.

مقابلات شخصية:

- مقابلة شخصية للباحث مع الروائي الدكتور زهير ياسين شليبه عبر المواقع الاجتماعية بتاريخ 30-1-2025. وهي (غير منشورة وقد أذن الروائي بنشرها).
- رواية "زينب" للشاعر الدكتور عارف الساعدي 1921

د. لمياء ياسين حمزة، أستاذة جامعية في أربيل

د. شازاد كريم عثمان، أستاذ جامعي في أربيل

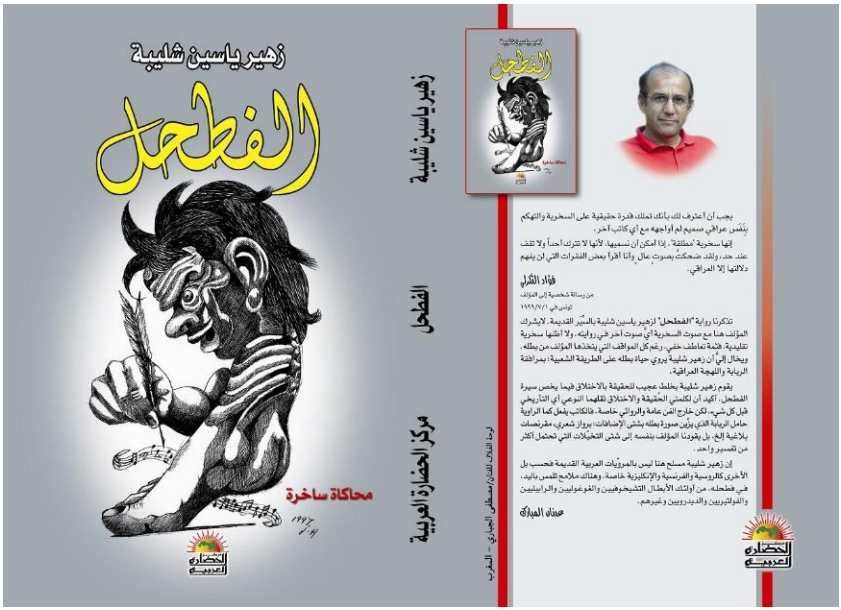
زهير ياسين شلبية
الفطحل
محاكاة ساخرة
زهير ياسين شلبية
الفطحل
مركز الحضارة العربية
يجب أن أعترف لك بأنك تملك قدرة حقيقية على السخرية والتهكم بنَفَس عراقي صميم لم أواجهه مع أي كاتب آخر.
إنها سخرية "مطلقة"، إذا أمكن أن نسميها، لأنها لا تترك أحداً ولا تقف عند حد، ولقد ضحكتُ بصوت عالٍ وأنا أقرأ بعض الفقرات التي إن يفهم دلالتها إلا العراقي.
فؤاد التكرلي
من رسالة شخصية إلى المؤلف
تونس في ١٩٩٩/٧/١
تذكرنا رواية "الفطحل" لزهير ياسين شلبية بالسِّير القديمة. لايشرك المؤلف هنا مع صوت السخرية أي صوت آخر في روايته. ولا أنتهما سخرية تقليدية. ثمة تعاطف خفي، رغم كل المواقف التي يتخذها المؤلف من بطله. ويخال إليَّ أن زهير شلبية يروي حياة بطله على الطريقة الشعبية: بمرافقة الرباية والنهيجة العراقية.
يقوم زهير شلبية بخلط عجيب للحقيقة بالاختلاق فيما يخص سيرة الفطحل. أكيد أن للكمشي الحقيقة والاختلاق لقلمها. النوعي أي التاريخي قبل كل شيء، لكن لخارج الفن عامة والروائي خاصة. فالكاتب يهمل كما الراوية حامل الرباية الذي يؤلِّف صورة بطله بشتى الإضافات: برواز شعري، مفرقعات بلاغية إلخ. بل يقودنا المؤلف بنفسه إلى شتى التخيّلات التي تحتمل أكثر من تفسير واحد.
إن زهير شلبية مسلح هنا ليس بالمرويات العربية القديمة فحسب بل الأخرى كالروسية والفرنسية والإنكليزية خاصة. وهناك ملامح للمس بائيد، هي فطحله. من أولئك الأبطال التشيخوفيين والغوغوليين والراباليين والفولتيريين والديدروبين وغيرهم.
عبدالله العبدالله
الحضارة العربية
الحضارة العربية